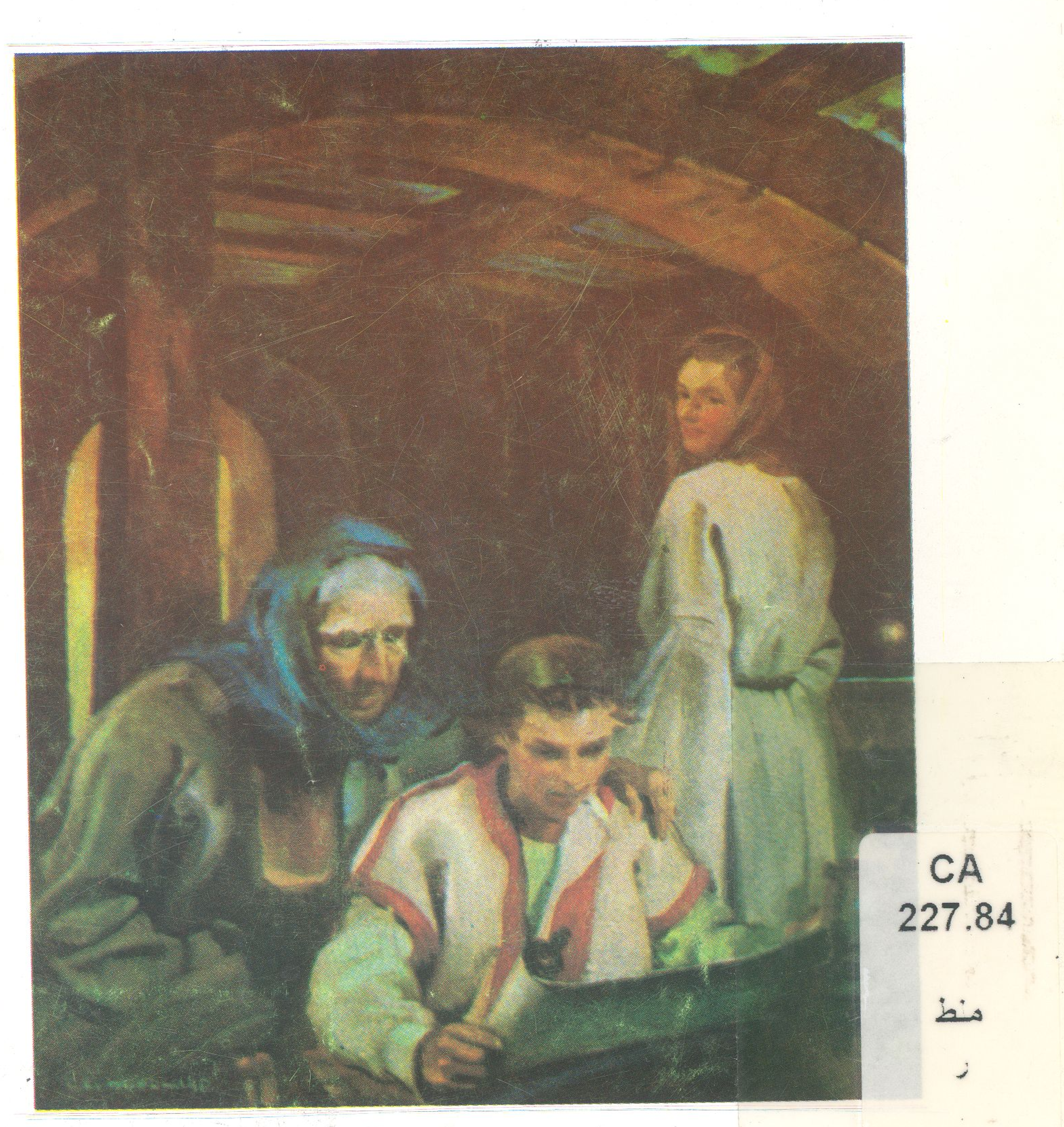
من تفسير وتأملات الآباء الأولين

رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس



القمص تادرس يعقوب ملطي



رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس

القمص تادرس يعقوب ملطي



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

لهذه الرسالة اهمية خاصة ، فقد سجلها رسول الأمم معلمنا بولس الرسول لأحب تلميذ له ، وشريك معه فى الخدمة الرسولية القديس تيموثاوس ، الذى سامه أسقفاً على افسس . إنها آخر ما سجله الرسول بولس فى سجنه الثانى وهو ينتظر يوم استشهاده . فقد كان فى حنين أن يلتقى معه ، ليقدم له وصاياه الوداعية ، لكنه خشى ألا يسعفه الوقت فقدم كل ما فى قلبه كخادم ، مسجلاً وصاياه الوداعية لإبنه الخاص .

المكان الذى أرسلت إليه :

كتب الرسول بولس هذه الرسالة إلى القديس تيموثاوس ، الذى كان يخدم فى أفسس ويرعى شعبها ، والدليل على ذلك هو :

١ ــ طلب منه أن يسلم على أنيسيفورس (٤:١٩) ، الذى كان فى أفسس (١:١٨) .

٢ ــ أوصاه أن يمر على ترواس عند قدومه إليه فى روما (٤:١٣) ، وكانت ترواس تقع فى الطريق الممهد بين أفسس وروما كما يفهم من (أع ٢٠:٥ ، ٢كو ٢:١٢) .

٣ ــ حذره من إسكندر النحاس (٤:١٤) الذى كان فى أفسس (أع ١٩:٣٣ ، ١تى ١:٢٠) .

٤ ــ أمره أن يبادر إليه (٤:٩) ، وزاد على ذلك قوله : « أما تيخيكس فقد أرسلته إلى أفسس » (٤:١٢) ، وكأنه قد بعث به إلى أفسس لينوب عن القديس تيموثاوس أثناء رحيله .

٥ ــ الأضاليل والأخطاء التى طالب القديس تيموثاوس بمقاومتها هى بعينها المذكورة فى الرسالة الأولى ، وكأن القديس تسلم الرسالة فى ذات البلد التى تسلم فيها الرسالة الأولى ، أى أفسس .

تاريخ كتابتها :

يظهر من هذه الرسالة أن الرسول كتبها وهو فى سجن روما (١:٨ ، ١٦ ؛ ٤:٦) ، وليس فى سجنه الأول بل الأخير ، حوالى سنة ٦٧ أو ٦٨ م . فقد سجن فى روما مرتين . فى السجن الأول كان داخل السجن نفسه ، أما فى الثانى فأقام فى بيت إستأجره ، فكان السجن بالنسبة له « تحديد إقامة » أكثر منه سجناً .

يظهر أن هذه الرسالة كتبت أثناء سجنه الثانى من الأدلة التالية :

١ ــ لم يكن يتوقع انطلاقه من السجن سريعاً وتركه روما كما جاء فى رسالته إلى أهل فيلبى (١:٢٤ ؛ ٢:٢٤) ، وفى رسالته إلى فليمون (ف ٢٢) ، بل على العكس كان يتوقع إستشهاده ، إذ يقول : « فإنى الآن أسكب سكيباً ووقت انحلالى قد حضر » (٤:٦) .

٢ ــ يرى البعض ان الرسول يشير الى سجنه الأول وما لازمه من محاكمة إنتهت بالإفراج عنه وانطلاقه للخدمه ، إذ يقول : « فى احتجاجى الأول لم يحضر أحد معى ، بل الجميع تركونى ، لا يحسب عليهم ! ولكن الرب وقف معى وقوانى لكى تتم بى الكرازة ويسمع جميع الأمم فأنقذت من فم الأسد » (٤:١٦ ، ١٧) . وإن كان غالبية الدارسين يرون أن الرسول يتحدث هنا عن ظهوره أمام نيرون مرة وأن القضية قد تأجلت ليظهر مرة أخرى ، وأن الكرازة قد التهبت خلال خدمته ما بين المحاكمتين وهو فى السجن .

٣ ــ يطلب الرسول منه أن يحضر الرداء الذى تركه فى ترواس عند كاربس (٤:١٣) ، والكتب أيضاً ولا سيما الرقوق ؛ هذا يظهر أن الرسول قد قُبض عليه فى المرة الثانية بأمر رومانى كطلب نيرون فى وقت لم يكن متوقعاً فيه فلم يجد الوقت لجمع هذه الأشياء .

٤ ــ بعض الأسماء الواردة فى الرسائل التى كتبها أثناء سجنه الأول بكونهم معه يظهرون فى هذه الرسالة غائبين عنه ، مما يدل على أن هذه الرسالة لم تكتب فى السجن الأول . ففى رسالته إلى كولوسى يذكر أن معه تيموثاوس ومرقس وديماس (كو ١:١ ؛ ٤:١ ؛ ٤:١٤) ، أما هنا فيكتب الى تيموثاوس

المقيم فى أفسس ، ويطلب منه ان يحضر معه مار مرقس الرسول (٤ : ١١) ، كما يقول عن ديماس أنه قد تركه (٤ : ١٠) .

غرض الرسالة :

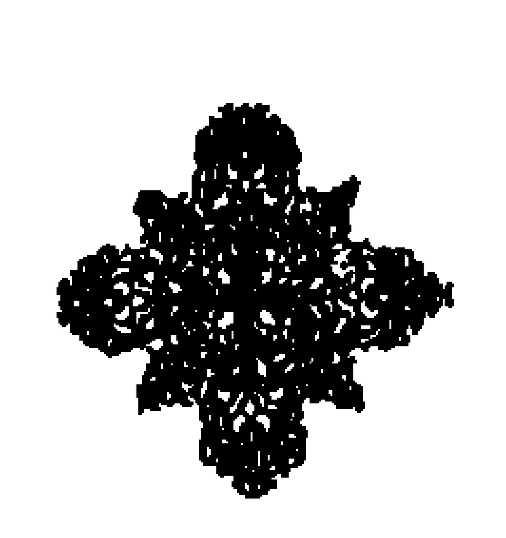
١ — كتب الرسول إلى تلميذه لكى يحضر ومعه مار مرقس ، ليلتقى معهما فى السجن قبل استشهاده ، لكنه خشى أن يستشهد قبل وصولهما ، لهذا قدم فى هذه الرسالة وصايا وداعية أبوية يؤكد فيها ضرورة الجهاد بروح القوة لا اليأس ، من أجل الحفاظ على الإيمان المستقيم ، ومقاومة الهرطقات بحزم مع وداعة ومحبة ، كما يلهب فيهما تلمذة الآخرين للمساندة فى الخدمة .

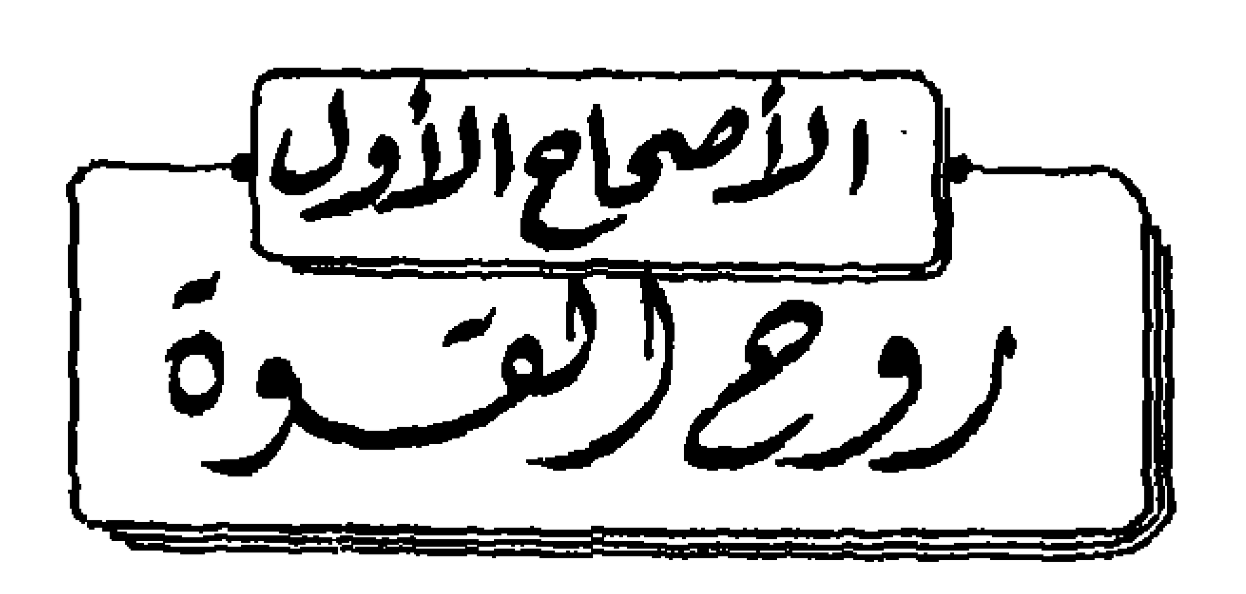
٢ — يكتب الرسول وهو ينتظر استشهاده فى روما إلى كنيسة تجتاز محنة الألم تحت نير نيرون الظالم ، لذا كتب يشجع الكنيسة على احتمال الألم بغير تذمر أو شك . كما يكرر عباة « لا تخجل » ، فالضيق لا يقيد كلمة الانجيل بل يسند الكثيرين للعمل بلا خجل من صليب ربنا يسوع المسيح .

٣ — جاءت هذه الرسالة يقدمها خادم منتصر يودع عالم مملوء ضيقاً . إنه يعلن تمام جهاده وحفظه للوديعة الإيمانية حتى النفس الأخير منتظراً الإكليل الأبدى .

أقسام الرسالة ومحتوياتها :

١ — تحية إفتتاحية	ص ١ : ١ — ٥ .
٢ — روح القوة	١ : ٦ — ١٨ .
٣ — الجهاد فى الخدمة	ص ٢ .
٤ — مقاومة روح الضلال	ص ٣ .
٥ — وصايا وداعية	ص ٤ .





إذ يكتب الرسول بولس من سجنه وصيته الوداعية لكل أولاده خاصة الرعاة فى شخص تلميذه القديس تيموثاوس ، وقد أحاطت الضيقة بالكنيسة بسبب ظلم نيرون ، لهذا فإن النغمة التى سادت الرسالة ككل هى « روح القوة » التى صارت لنا فى المسيح يسوع الغالب الموت . أما مفتاح السفر فهو : « لأن اللّه لم يعطنا روح الفشل (التهيب) بل روح القوة والمحبة والنصح » . هكذا يحيا الخادم بروح القوة فى كرازته بالانجيل وفى خدمته للغير وتشجيعه الخدام وفى قبوله حب إخوته له كما فى مناهضته للبدع والأضاليل :

١ ــ **الافتتاحية**	١ــ٢ .
٢ ــ **تعلق الرسول بأولاده**	٣ــ٧ .
٣ ــ **الكرازة بروح القوة**	٨ــ١٢ .
٤ ــ **التمسك بالتعليم الصحيح**	١٣ــ١٤ .
٥ ــ **مساندة أولاده له**	١٥ــ١٨ .

* * *

١ ــ الافتتاحية :

« بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة اللّه لأجل وعد الحياة التى فى يسوع المسيح ، إلى تيموثاوس الإبن الحبيب . نعمة ورحمة وسلام من اللّه الآب والمسيح يسوع ربنا » (ع ١ ، ٢) .

تقاربت الافتتاحية هنا بتلك الخاصة بالرسالة الأولى ، فهى موجهة من ذات الرسول إلى نفس المرسل إليه ، وفى نفس البلد . ومع ذلك فقد وُجدت بعض الإختلافات التالية :

أ ــ فى الرسالة الأولى يركز القديس بولس على أنه رسول بأمر الله مخلصنا وربنا يسوع المسيح ليؤكد أن عمله الرسولى لا يقوم على إعلان بشرى بل بمشيئة اللّه

نفسه . أما هنا وإن كان قد أكد ذات الأمر لكنه يركز عينيه على المكافأة الأبدية ، قائلاً : « لأجل وعد الحياة التى فى يسوع المسيح » . فى الرسالة الأولى كان يجاهد فى الخدمة متذكراً أن الدعوة قد وُجهت إليه كأمر إلهى ، وأن الله فى محبته يلتزم — إن صح هذا التعبير — أن ينجح طريقه ، أما هنا فقد أدرك أنه يسكب سكيباً ووقت انحلاله قد حضر (٤ : ٦) لهذا سُمرت عيناه على المكافأة التى طالما كان يترقبها . إنها تمتع بالمسيح يسوع نفسه بكونه الحياة (يو ١٠ : ١) ... هو رجاؤنا ومكافأتنا .

إن كانت هذه الرسالة الوداعية تدور حول موضوع « روح القوة » ، فإن سرّ القوة هو « الحياة » التى صارت لنا بدخولنا فى المسيح يسوع حياتنا ، لننعم به فى كمال المجد على مستوى فائق . كأن الحياة التى ينتظرها كمكافأة ينعم بها هنا خلال الايمان فى عربونها ، إذ ننال مسيحنا هنا بالايمان أما هناك فننعم به وجهاً لوجه .

ب — يدعو الرسول بولس تلميذه : « الإبن الحبيب » ، فقد قاربت لحظات انتقاله ويخشى ألا يراه ، لذا كتب اليه بروح الحب والود ليكشف عن أعماق أحاسيسه الداخلية .

ويرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** فى هذا اللقب : « الإبن الحبيب » إعلاناً عن طاعة القديس تيموثاوس [1] ، إذ كان للقديس أبناء كثيرون ، لكن دعوته « الحبيب » تقدم له على وجه الخصوص من أجل طاعته له كأبيه الروحى .

على أى الأحوال ، إن كانت رسائل القديس بولس قد كشفت عن شخصيته من جهة جهاده وجديته وحزمه كما عن عمق مفاهيمه اللاهوتيه ، فإنها أبرزت أيضاً مشاعر الحب الفائقة ! لقد عاش الرسول بولس محلقاً فى السمويات على مستوى لا يعبر عنه ، وفى نفس الوقت كانسان واقعى يؤمن بتقديس الجسد بكل مشاعره وأحاسيسه وعواطفه فى المسيح يسوع . إنه لا يكبت المشاعر الانسانية بل يطلقها بطريقة روحية عالية . هذا ما ظهر بأكثر وضوح فى ختام رسالته إلى أهل رومية كاشفاً عن مشاعر الحب التى تربطه بكثيرين بأسمائهم . وقد تحدث **القديس يوحنا الذهبى الفم** عن هذه المشاعر التى ملأت قلب الرسول فى إستطاله ، نذكر منها : « بولس هذا العجيب ، الذى بذل لحمه ، وأنكر جسده ، الذى جال فى كل

الأرض يحمل نفسه وحدها (كأنها بلا جسد) ، وقد ألقى عنه كل هوى ، وامتثل بالقوات الروحية العلوية ، وقطن فى الأرض كما فى السماء وارتفع مع الشاروبيم ، واشترك معهم فى التسبيح السماوى واحتمل الالام ... بولس هذا عندما ابتعد عن نفس عزيزة عليه اضطرب وتكرر ، حتى هرب من المدينة التى لم يجد فيها من كان يتوقع أن يراه هنالك ... لقد ترك ترواس لذات السبب إذ لم تقعد أن تقدم له صديقة : « ولكن لما جئت إلى ترواس لأجل انجيل المسيح وانفتح لى باب فى الرب لم تكن لى راحة فى روحى لأنى لم أجد تيطس أخى ، لكن ودعتهم فخرجت الى مكدونية » (٢كو ٢:١٢) . ما هذا يا بولس ؟ أنت الذى قُيدت ... ودخلت السجن ، وحملت آثار السياط فكان ظهرك لا يزال ينزف دماً ! ... أنت الذى لم تحتقر إنساناً واحداً يحب أن يخلص ، عندما بلغت ترواس ورأيت الأرض صالحة للزرع ، ومستعدة للبذر ، والصيد كثير وسهل ، ألقيت من بين يديك هذا المكسب الهام الذى من أجله أتيت ؟ ! . تقول : « لأجل إنجيل المسيح » بمعنى أنه لا يقف أحد فى طريقك من أجل انجيل المسيح ، وتقول : « انفتح لى باب فى الرب » ، ومع هذا تهرب سريعاً ؟ نعم ، بالتأكيد سقطت تحت سطوة الحزن ، فإن غياب تيطس قد آلمنى كثيراً . غلبنى الحزن وسيّطر علىّ حتى وجدت نفسى مضطراً لهذا ... الذين يحبون بعضهم بعضاً لا يكفيهم الإرتباط بالنفس لتعزيتهم ، بل هم محتاجون إلى وجودهم معا بالجسد ، وإن لم يوهبوا ذلك ينقصهم الكثير من سعادتهم ...[٢] » .

٢ ــ تعلق الرسول بأولاده :

فى لحظات الصلب تجلت روح قوة ربنا يسوع المسيح حيث إنكشف اهتمامه بكل البشرية ، مقدماً حياته فدية عن الجميع ، طالباً المغفرة حتى عن صالبيه ، دون أن ينسى إعالة أمه فسلمها لتلميذه القديس يوحنا الحبيب أماً له ، وقدمه إبناً لها . إنها مشاعر الحب الفائقة التى تعلو الألم حتى مرارة الصليب . هكذا تشبه الرسول بولس بمعلمه فحمل « روح القوة » الذى هو « روح المسيح » الذى به وهو يدرك أنه ينسكب سكيباً لا يوصى تلميذه عن أمور خاصه بنفسه ولا يحدثه عن سجنه وآلامه إنما فى قوة يتحدث عن اهتمامه به بعمق ، قائلاً له : « **إنى أشكر الله الذى أعبده من أجدادى بضمير طاهر كما أذكرك بلا إنقطاع فى طلباتى ليلاً ونهاراً ، مشتاقاً أن أراك ، ذاكراً دموعك لكى أمتلىء فرحاً** » (ع ٣ ، ٤) .

هكذا تبرز روح القوة بحق فى حياة المؤمنين خلال إتساع قلبهم بالحب نحو إخوتهم وأولادهم الروحيين فلا يفكرون حتى فى لحظات إنتقالهم فيما هو لأنفسهم بل هو للغير ، مظهرين كل حب وتعلق بهم ليس فقط خلال العمل الظاهر وإنما أيضا فى الطلبات المستمرة لدى الله .

لعل الرسول بولس وهو يكتب الى تلميذه مذكراً إياه أنه نشأ فى أحضان أم وجدة تقيتين ، عاد بذاكرته إلى اجداده هو أيضاً ، إذ يقول : « **الذى أعبده من أجدادى بضمير طاهر** » ، فهو إنسان لا ينكر الجميل ، إن كان قد اضطهد كنيسة الله وافترى عليها مجدفاً على مسيحها الأمر الذى كان يردده كثيراً ، لكنه لا يتجاهل بركة آبائه اليهود الذين سلموا له الإيمان الحق الى مجىء المسيا . بقلب متسع يرى الرسول فى آبائه الجذور الصالحة لكرمة اللّه التى أثمرت فى العهد الجديد بالمسيح يسوع .

ماذا يقصد الرسول بقوله : « **بضمير طاهر** » ؟ حقاً كان الرسول مجدفاً ومفترياً ، لكنه حتى فى هذا لم يكن سيىء النية ، انما ظن أنه يخدم الله ، مشتهياً أن يعمل بضمير صالح طاهر ... وقد صار له هذا الصلاح أو تلك الطهارة بالأكثر عندما التقى بالقدوس وتمتع بالاتحاد معه فى المسيح يسوع ربنا ، لهذا بكل جرأة يقول : « إنى بكل ضمير صالح قد عشت إلى هذا اليوم » (أع ٢٣ : ١) ، كما يعلن أنه يدرب نفسه كل يوم ليكون له ضمير بلا عثرة (أع ٢٤ : ١٦) . يقصد الرسول بولس بهذا « الضمير » الحياة الداخلية التى تحمل انعكاساً على تصرفاته الظاهرة . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « يتحدث هنا عن حياته التى بلا لوم ، ففى كل موضع يدعو حياته ضميره [٣] » .

ومما استرعى إنتباه **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن الرسول يعتبر مجرد تذكرة لتلميذه فيطلب عنه بلا إنقطاع هو عطية إلهية يقدم عنها ذبيحة شكر !

طلبات الرسول غير المنقطعة ليلاً ونهاراً من أجل تلميذه لكى يهبه الرب نجاحاً فى حياته الروحية وفى خدمته ، هى جزء لا يتجزأ من حياة الرسول بولس نفسه بكونها إعلان عن إتساع قلبه لاخوته وأولاده ، وجزء لا يتجزأ عن عمله الكرازى وخدمته فإنه لا يكفى الكرازة بالفم والقدوة فحسب وانما خلال الصلاة الدائمة من أجل كل خادم ومخدوم . هذا هو سرّ قوة الرسول بولس وقوة أولاده الروحيين ! أقول

بصدق ما أحوج العالم كله فى هذا العصر إلى رجال صلاة حقيقيين متسعى القلب ومملوئين إيماناً بالله العامل فى خدامه ! كرازة بلا صلاة هى خدمة جوفاء ، وعمل بشرى لا يدوم !

أخيراً فإن الرسول بروح القوة المعلن خلال الحب يعلن شوقه العميق أن يراه ، وكما قلت قبلاً إنه يرى فى المشاعر الانسانية الرقيقة تقديساً فلا تُكبت أو تكتم أنفاسها . إن منظر تلميذه وهو يبكى عند فراق الرسول أو عند سجن الرسول لا يفارق عينيه قط ، إذ يقول : « **مشتاقاً أن أراك ، ذاكراً دموعك لكى أمتلىء فرحاً** » . لقد امتلأت حياة الرسول والملاصقين له بالعواطف المقدسة فيسكبون الدموع عند مفارقته (أع ٢٠:٣٧ ، ٣٨ ؛ ٢١:٣١) . ويعلن هو شوقه إلى كل أولاده : « فإن الله شاهد لى كيف أشتاق إلى جميعكم فى أحشاء يسوع المسيح » (فى ١:٨) . « وأما نحن أيها الإخوة إذ قد فقدناكم زمان ساعة بالوجه لا بالقلب اجتهدنا أكثر باشتهاء كثير أن نرى وجوهكم ... » (١تس ٢:١٧ ، ١٨) . ويعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على العبارة الأخيرة هكذا : « ماذا تقول : أنت الإنسان الكبير والعظيم ؟ أنت الذى صُلب العالم لك وأنت للعالم (غل ٩:٢٤) ، أنت الذى تركت كل ما هو جسدى ، أنت الذى كمن هو بلا جسد ، بلغت هذه الدرجة من العبودية فى الحب حتى اندفعت بهذا الجسد الترابى ـــ المصنوع من الطين ـــ الذى تراه ؟ يجيب : نعم ، إنى لا أخجل من أن أعترف بذلك ، بل أفتخر ، إذ أحمل داخلى محبة عظيمة ، هى أم كل الفضائل [٤] »

لا يقف الرسول بولس عند هذه العواطف مجردة إنما يستخدمها بالروح القدس لحث أولاده على الجهاد بروح القوة ، إذ يقول : **إذ أتذكر الإيمان العديم الرياء الذى فيك الذى سكن أولاً فى جدتك لوئيس وأمك افنيكى ، ولكنى موقن أنه فيك أيضاً . فلهذا السبب أذكرك أن تضرم موهبة الله التى فيك بوضع يدى . لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح** » (ع ٥ـــ٧) .

يدفعه الرسول للعمل بروح القوة والحب والمشورة ، مذكراً إياه بثلاثة أمور : علاقته بأسرته ، علاقته بالرسول ، علاقتة بالله .

أولا : من جهة أسرته فالقديس تيموثاوس مدين لجدته وأمه بالايمان الحىّ عديم

الرياء الذى تسلمه منذ الطفولة . هذا هو ما يفرح قلب الرسول أن يرى العائلات المقدسة كنيسة حيّة يتربى فيها أولاد الله على الإيمان الحيّ ، فيتسلمون الحق كسرّ حياة يمارسونها كل يوم وليس معرفة نظرية أو شكليات فى العبادة . يقول القديس يوحنا : « فرحت جداً لأنى وجدت من أولادك بعضاً سالكين فى الحق » (٢يو ٤) . وكتب **القديس جيروم** إلى لئيتا يرشدها فى تربية إبنتها جاء فيها : «كونى مدرسة لها، نموذجاً لما تريدين أن تكون عليه فى طفولتها ... لا تفعلى أنتِ أو والدها شيئاً مما إذا قلدتكما فيه تكون قد ارتكبت خطية ... بسيرتكما تعلماها أكثر مما تعلمانها بوصاياكما [٥] » .

أما قوله عن الإيمان المسلم إليه من عائلته إنه « عديم الرياء » ، فإن الكلمة اليونانية لها إنما تستخدم فى إختبار السوائل على ضوء الشمس لتظهر إن كانت نقية بلا شوائب . وكأن الرسول بولس يقول له : لقد اختبر إيمان عائلتك على ضوء السيد المسيح شمس البر فوجد نقياً بلا شوائب ؛ إيمان غايته خلاص النفس والتمتع بالله لا الظهور أمام الناس لأجل كلمة مديح .

نستطيع أن نقول أن البيوت المقدسة بحق ، المؤمنه بغير رياء ، الملتهبه بنار الحب الحقيقى تقدم للأبناء إمكانية حياة مع اللّه ، تسندهم فى شبابهم بل حتى مماتهم . أما البيوت الحاملة صورة التقوى بلا حب حقيقى فهى تقدم صورة سيئة للأبناء تجعلهم ينفرون من الايمان ويكرهون الحق أكثر من الذين نشأوا فى بيوت مملوءه شروراً ... فالطفل قادر على أدراك ما فى قلبى والديه ومعرفة صدق إيمانهما أو ريائهما !

ثانياً : من جهة علاقته به يقول : « **أذكرك أن تضرم موهبة الله التى فيك بوضع يدى** » . إن كنت قد وضعت يدى عليك لتتقبل موهبة الكهنوت والرعاية ، فإن علاقتى بك الملتهبة ناراً إنما هى فى الرب النار المقدسة ... محبتك لى تظهر فى اشعالك أو اضرامك لهذه النار الالهية بالتجاوب مع عمل الروح القدس النارى الساكن فيك . هنا يرفع الرسول مستوى العلاقة بينهما إلى الالتقاء فى الرب ، لكى يحثه على العمل بلا انقطاع ، إذ موهبة الله المجانية لا تُضرم فى حياة الرعاة الكسالى بل العاملين . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « كما تحتاج النار إلى وقود هكذا تتطلب النعمة نشاطنا لكى تكون دائمة الحرارة » ، « أذكرك أن تضرم موهبة اللّه التى فيك بوضع يدى » ، أى نعمة الروح التى تقبلتها لكى

تدبر الكنيسة وتعمل المعجزات وتقوم بكل خدمة . ففى مقدورنا أن نلهب هذه النعمة أو نطفئها ، لهذا يقول فى موضع آخر : « لا تطفئوا الروح » (١تس ٥:١٩) . فبالخمول والإهمال تنطفىء ، وبالسهر والإجتهاد تبقى حية . حقاً ان الموهبة فيك ، فلتلهبها أى إملأها ثقة وفرحاً وبهجة ، وكن رجلاً [٦] » .

ثالثاً : علاقته بالله : إن كانت علاقته باسرته إنما هى فى الرب وأيضاً علاقته مع الرسول هى فى الرب ، فان الرب نفسه يهبه أيضا روح القوة والحب والنصح وليس روح الفشل (التهيب) . وكأن الرسول بولس يسند تلميذه بالتطلع الى الله نفسه لا الظروف المحيطة به فلا يخاف ولا يتهيب بالفشل بل يمتلىء قوة وحباً ونصحاً . أما الظروف المحيطة فيمكننا تلخيصها فى العبارات التالية :

أ ـــ حداثة سنه مع كبر المسئولية ، ففى الرسالة السابقة قاله له : « لا يستهن أحد بحداثتك بل كن قدوة للمؤمنين فى الكلام فى التصرف فى المحبة فى الروح فى الايمان فى الطهارة » (١تى ٤:١٢) .

ب ـــ سجن الرسول بولس ، وربما علم القديس تيموثاوس بكل ما لحق الرسول من أتعاب أثناء السجن .

جـ ـــ شعوره بالفراغ الذى يتركه الرسول برحيله من العالم .

د ـــ وجود مقاومين من المتهودين وأصحاب البدع الغنوسية المفسدة للإيمان المسيحى .

إنه يشجعه على العمل لا بروح الخوف والتهيب وإنما بروح القوة القادرة على مواجهة المتاعب ، وروح الحب القادر على البذل والعطاء ، وروح النصح القادر على التمييز بحكم سليم فى غير تهور أو تطرف . هذه هى عطايا الروح القدس الذى يهب المؤمنين خاصة الرعاة سلطاناً أن يدوسوا بقوة على الحيات والعقارب وكل قوة العدو ، فيخدموا بروح الشجاعة لكن ليس الشجاعة الجسدية المظهرية ولا القوة التى بالمفهوم البشرى ، لذا رافقها بالحب ... فالقوة هنا هى قوة الله الملهبة القلب بالحب نحو كل إنسان ، ويرافق الحب « النصح » ، فالراعى فى محبته يلزم أن يكون حكيماً وناصحاً ... ولعله قصد بالنصح روح المشورة فلا يخدم الراعى بفكر انفرادى منعزل انما يسلك بروح الكنيسة الجماعى طالباً المشورة ، أيا كان مركز الراعى أو درجته الكهنوتية . هذا ما نلاحظة فى الرسول بولس نفسه الذى وهو

يؤمن انه مفرز من بطن أمه للعمل الرسولى وان الابن الوحيد نفسه أعلن ذاته له (غلا ١ :١٦) اذا به يعرض انجيله الذى يكرز به بين الأمم على المعتبرين لئلا يكون قد سعى باطلاً (غلا ٢ :٢) .

يهب اللّه بروحه القدوس خدامه روح القوة للعمل بلا تخوف ، بينما الأشرار . « تقع عليهم الهيبة والرعب » (خر ١٥ :١٦) . يغرس الله فى أولاده الشجاعة الروحية ويترك الرعب يفسد قلوب الأشرار . ويعطى مع القوة روح الحب فيدرك الخدام حب اللّه ليتسع قلبهم بالحب نحوه ونحو كل البشرية ، فيرافق القوة لطفاً وحناناً ، أما الذى يزن بين القوة والحب فهو روح النصح والتمييز حيث يعرف الخادم الشجاعة دون فقدان اللطف ، واللطف دون الحرمان من الشجاعة ؛ أو هو روح النصح الذى يعنى روح المشورة المتبادلة بين الخدام وبعضهم البعض الذى يهب الخادم إتزاناً فى عمله وخدمته .

٣ ـــ الكرازة بروح القوة :

إذ يحمل الراعى روح القوة والحب والنصح فانه يكرز بانجيل المسيح بغير خجل ، لذا يقول الرسول : « **فلا تخجل بشهادة ربنا ولا بى أنا أسيره ، بل إشترك فى احتمال المشقات لأجل الانجيل بحسب قوة الله الذى خلصنا ، ودعانا دعوة مقدسة ، لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التى أُعطيت لنا فى المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية** » (ع ٨ ، ٩) .

يوصيه الرسول أن يخدم اللّه ويشهد للانجيل وسط الآلام ، أما سرّ القوة فيكمن فى الصليب ، الذى هو سرّ خلاص البشرية ، وسرّ تقديسنا . على الصليب شهد ربنا يسوع المسيح للحب الإلهى متمماً المقاصد الأزلية ، وخلال الصليب دخل الرسول إلى الأسر شاهداً لمحبته للمصلوب . وكأن الرسول يحث تلميذه ألّا يكرز بحماس بشرى أو غيرة إنسانية وإنما خلال تمتعه بقوة الصليب .

رأينا فى دراستنا السابقة كيف أفسد بعض الغنوسيين نفوس البعض إذ انحرفوا بهم عن الإيمان الى المعرفة المجردة كعلة خلاص . فصار الإيمان بالنسبة لهم مجرد مباحثات ومناقشات غبية بلا هدف سوى الوصول إلى المعرفة الذهنية بمجهودهم الذاتى ، متجاهلين قوة الإيمان بالصليب كسرّ حياة المؤمنين وخلاصهم وتقديسهم (٧) . هذا ما دفع الرسول لإبراز عمل الصليب كسرّ شهادة يسوع

المسيح نفسه عن الحب الإلهى الأزلى نحو الإنسان ، وسرّ خلاص البشرية وتقديسها .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذا النص ، **قائلاً** : « ليس شىء أشر من أن يقيس الإنسان الأمور الإلهية ويحكم عليها خلال المباحثات البشرية (كالغنوسى) ، فإنه بهذا يسقط من صخرة (الايمان) إلى مسافة بعيدة ، ويحرم من النور ؛ فمن أراد أن يبصر أشعة الشمس بعينيه البشريتين ليس **فقط لا** يعاينها وإنما يصيبه ضرراً جسيماً . هكذا وبصورة أشد من يفعل هذا مفسداً **عطية الله** بتطلعه إلى النور (الإلهى) خلال بصيرة المباحثات البشرية . لاحظ كيف أدخل مرقيون وماني وفالنتينوس وغيرهم هرطقاتهم وتعاليمهم المهلكة إلى كنيسة الله ، إذ يقيسون الأمور الالهية بقياس المباحثات البشرية ، فصاروا فى خجل من جهة التدبير الإلهى . وإننى إذ أتحدث عن صليب المسيح أقول أنه ليس موضوع خجل بل بالحرى موضوع مجد ! فإنه ليس علاقة عظيمة هكذا تكشف عن محبة الله للبشر مثل الصليب ، فلا السماء ولا البحر ولا الأرض ولا خلقة هذا كله من العدم ولا شىء آخر مثله ! هنا مجد الرسول : « حاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح » (غلا ٦ : ١٤) . أما الطبيعيون فيتعثرون فيه ويخجلون منه ... من البداية يحث الرسول تلميذه ، ومن خلاله يحث الآخرين ، قائلاً : « لا تخجل بشهادة ربنا » ، أى لا تخجل من الكرازة بالمصلوب بل بالحرى تتمجد فيه . فالموت والسجن والسلاسل هذه كلها أمور مخجلة فى ذاتها وعار ، لكن إن أضيف إليها السبب ظهر السرّ واضحاً فتصبح أموراً مجيدة وموضوع إفتخار . إنه الموت الذى خلص العالم ويبيد الموت ذاته ! إنه الموت الذى ربط الأرض بالسماء ، محطم قوة الشيطان ، وجعل البشر ملائكة وأبناء لله ، وأقام طبيعتنا إلى العرش الملوكى [٨] » .

هذا هو « روح القوة » ، أن ننعم بالصليب الذى يبيد الموت المهلك ويهبنا الحياة السماوية ... فلا نخجل منه بل نقبله عملياً فى حياتنا ، ونشترك فى إحتمال المشقات من أجله . هذا ما يعلنه الرسول لتلميذه ، مقدماً نفسه مثلاً حياً ، إذ صار أسيراً للرب المصلوب .

يتحدث **القديس يوحنا الذهبى الفم** على لسان الرسول ، **قائلاً** : « لا تخجل ، فإننى أنا الذى أقمت موتى ، وصنعت معجزات ، وحولت العالم إلى

الإيمان ، قد صرت أسيراً . لكننى لست أسيراً كصانع شر بل أنا أسير من أجل المصلوب . إن كان ربى لم يخجل من الصليب فلا أخجل أنا من السلاسل ... إن كان ربنا وسيدنا قد إحتمل الصليب فيليق بنا بالحرى أن نربط بالسلاسل . من يخجل مما احتمله السيد (الصلب والسلاسل) إنما يخجل من المصلوب نفسه . الآن ، فاننى لا احتمل هذه السلاسل لحساب نفسى ، فلا تستسلم للمشاعر البشرية ، بل بالحرى إحتمل نصيبك من هذه المشقات [٩] » .

ولئلا يظن القارىء أن إحتمال المشقات فى ذاته هو ثمن خلاصنا وتقديسنا أكد الرسول أننا مدينون فى ذلك للمقاصد الإلهية والنعمة المجانية ، إذ يقول : « **لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت لنا فى المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية** » (ع ٩) . حقاً إن الصليب واشتياقنا للخلاص وقبولنا للدعوة الإلهية هذا كله يدفعنا لاحتمال مشقات الصليب عملياً ، لكن ليست هذه المشقات هى ثمن لهذه العطايا ، إنما سرّ القوة يكمن فى عمل الله نفسه لخلاصنا وتقديسنا : « لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل مسرته » (فى ٢:١٣) .

لقد ظهرت المراحم الأزلية والتدابير الإلهية معلنة فى المسيح يسوع الذى ظهر فى ملء الزمان مصلوباً لخلاصنا ، إذ يقول الرسول : « **وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذى أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطه الانجيل ، الذى جُعلت أنا له كارزاً ورسولاً ومعلماً للأمم . لهذا السبب أحتمل هذه الأمور أيضاً لكننى لست أخجل لأننى عالم بمن آمنت ، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم** » (ع ١٠ ، ١١) .

هكذا يؤكد الرسول أن ظهور مخلصنا يسوع المسيح وتقديمه الإنجيل خلال صليبه هو سرّ قوتنا وينبوع النعمة الالهية المجانية القادرة على خلاصنا من الموت وتقديم الحياة والخلود لنا . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « ها أنت ترى القوة ، ترى العطية الممنوحة لنا لا بالأعمال وإنما خلال الانجيل ! هذا هو موضوع الرجاء ، الذى تحقق فى جسده (بالصليب) ؛ وكيف يتحقق فينا ؟ بالإنجيل [١٠] » . فى جسده كسر شوكة الموت عنا (١كو ١٥:٢٦) بحمله الصليب ، وفتح عن بصيرتنا الداخليه للتمتع بالنور والحياة الخالدة خلال قبولنا الانجيل . فى موضع آخر يؤكد الرسول أن إبادة الموت هو غاية ظهوره ، إذ

يقول : « فإنه إذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم إشترك هو أيضاً كذلك فيهما ، لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس ، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية » (عب ٢:١٤ ، ١٥) .

هذا هو ما دفع الرسول بولس أن يحمل روح القوة فى كرازته وتعليمه الانجيل بين الأمم ، محتملاً المشقات كسيده ، قائلاً : « **الذى جُعلت أنا له كارزاً ورسولاً ومعلماً للأمم** » .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « لماذا يكرر هذا ملقباً نفسه رسول الأمم ؟ لأنه يود أن يقتفوا آثاره ، ويلتصقوا هم أيضاً بالأمم ! لا يرتاعوا من مشقات (الإنجيل) فقد تراخت أوتار الموت . إنه لا يتألم كفاعل شر وإنما كمعلم للأمم [١١] . هكذا يقدم الرسول بولس نفسه مثالاً لإحتمال الآلام من أجل الكرازة بغير خجل ، قائلاً : « **لهذا السبب أحتمل هذه الأمور أيضاً لكننى لست أخجل** » . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « ها أنت ترى كيف يوضح تعليمه بأعماله ، قائلاً : « أحتمل هذه الأمور » » . لقد أُلقيت فى ذلك اليوم » . ما هى هذه الوديعة ؟ إنها الايمان والكرازة بالانجيل . الله الذى أودعه هذه يحفظها مصونة . إننى أحتمل كل شيء حتى لا أفسد الكنز ، وإننى لا أخجل من هذه الأمور ما دامت محفوظة لا يصيبها ضرراً . ولعله يقصد بالوديعة المؤمنين أنفسهم الذين عهد الله بهم إليه ، أو عهد هو بهم لدى الله ، قائلاً : « والآن أستودعكم لله » (أع ٢٠:٣٠) ... إنه يستودع ثمر الوديعة بين يدى تيموثاوس [١٢] » .

حقا يظهر الرسول بولس مثلاً حياً للمعلم الذى يحفظ الوديعة ــ سواء الإيمان الحق أو المؤمنين أنفسهم ــ وذلك باحتماله المشقات المستمرة وتسليمها لتلاميذه ليسلكوا بنفس روحه ، حاملين المشقات من أجل الوديعة . وكأن الرسول بولس يقدم لنا نفسه مثلاً حياً للراعى الأمين لا فى حفظ الوديعة فحسب وانما فى قدرته على تلمذة أناس قادرين أن يكملوا عمله ، سالكين ذات منهجه فى حفظ الوديعة باحتمالهم الآلام .

هذا ويلاحظ أن الرسول وهو يتكلم هنا عن المشقات لا يدفع نفسه إليها دفعاً ، لكنه متى وُجدت يحسبها مجداً له . كما جاءت كلمة « يحفظ » فى اليونانية

كتعبير عسكرى يعنى « الحماية الكاملة » . هذه هى إحساسات المؤمن الحقيقى ، أنه تحت الحماية الإلهية الكاملة ، إذ يقوم الله بحفظ مؤمنيه فى وديعة إيمانهم مما يعطى الخادم طمأنينة ورجاءً . يقول القديس بطرس : « فإن الذين يتألمون بحسب مشيئة الله فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين فى عمل الخير » (١بط ٤:١٩) .

٤ ـــ التمسك بالتعليم الصحيح :

« تمسك بصورة الكلام الصحيح الذى سمعته منى فى الايمان والمحبة التى فى المسيح يسوع . احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس الساكن فينا » (ع ١٣ ، ١٤) .

لقد طبع الرسول على قلب تلميذه صورة حية لوديعة الإيمان سواء من جهة العقيدة « الكلام الصحيح » أو من جهة السلوك « المحبة » . لقد نقش فى نفس تلميذه نسخة من دستور الإيمان والخطوط العريضة للحياة العملية ، فصار التلميذ نفسه أشبه بنسخة حية وفعّاله للايمان المسلم عبر الأجيال . هذا هو التسليم الحىّ أو التقليد : إنه تمسك بالانجيل العملى معلناً فى حياة الرعاة والرعية ، ليعبر من جيل إلى جيل كحياة فى المسيح يسوع ربنا .

كيف نتمسك بالوديعة ونحفظها ؟ « **بالروح القدس الساكن فينا** » . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « ليس فى قدرة نفس بشرية أن تحفظ أموراً عظيمة كهذه ؛ لماذا ؟ لأنه يوجد لصوص كثيرون يتربصون لها ، وظلمة كثيفة وشيطان على الأبواب يدبر خططاً ضدها ! كيف اذن يمكننا أن نحفظها ؟ بالروح القدس ؛ بمعنى إن كان الروح ساكناً فينا ، إن كنا لا نطرد النعمة فسيقف (الله) معنا . فإنه « إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون ، وإن لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر الحراس » (مز ١٢٧:١) . هذا هو حصننا ، هذه هى قلعتنا هذا هو ملجأنا ! إن كان الروح ساكناً فينا وهو حارسنا ، فما الحاجة للوصية ؟ لكى نتمسك بالروح ولا نجعله يهجرنا [١٤] » .

٥ ـــ مساندة أولاده له :

لقد هجر البعض الرسول وهو فى السجن فى اللحظات الحرجة ، واعتبر الرسول هذا التصرف نوعاً جديداً من المشقات التى يحتملها من أجل السيد

المسيح ، بينما وقف البعض بجواره ، فكان هذا التصرف منقوشاً فى قلب الرسول الرقيق المشاعر ، فهو يصلى من أجلهم حتى يكافئهم بالسماويات .

يقول الرسول : « **أنت تعلم هذا أن جميع الذين فى آسيا إرتدوا عنى ، الذين منهم فيجلس وهرموجانس . ليعطِ الرب رحمة لبيت أنيسيفورس لأنه مراراً كثيرة أراحنى ولم يخجل بسلسلتى ، بل لما كان فى رومية طلبنى بأوفر إجتهاد فوجدنى . ليعطه الرب أن يجد رحمة من الرب فى ذلك اليوم . وكل ما كان يخدم فى أفسس أنت تعرفه جيداً** » (أع ١٥—١٨) .

قدم الرسول لتلميذه مثالاً للذين هجروه وقت آلامه ، وهم « جميع الذين فى آسيا » ، هؤلاء الذين كانوا فى روما وقد إرتدوا عنه . وقد قصد بآسيا هنا الولاية الرومانية التى فى آسيا الصغرى ، والتى كانت عاصمتها أفسس . هؤلاء الذين من آسيا إما أنهم وُجدوا فى روما أثناء سجنه أو جاؤا معه إليها كما فعل ديماس (٤ : ١٠) . كان الرسول فى سجنه محتاجاً إلى محبتهم وخدمتهم لكنهم قدموا جفافاً عوض الحب ، بل استغلوا سجنه لعمل إنشقاق فى الكنيسة وإثارة هياج ضده ؛ أو لعلهم خافوا من نيرون فخجلوا من بولس السجين . على أى الأحوال كان تصرفهم هذا صليباً حمله الرسول بقوة من أجل الإنجيل . يقول : **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « أشار الرسول إلى سلوكهم دون أن يلومهم ، إنما مدح ذاك الذى أظهر حنواً من نحوه طالباً له آلاف البركات لكى تحل عليه [١٥] .

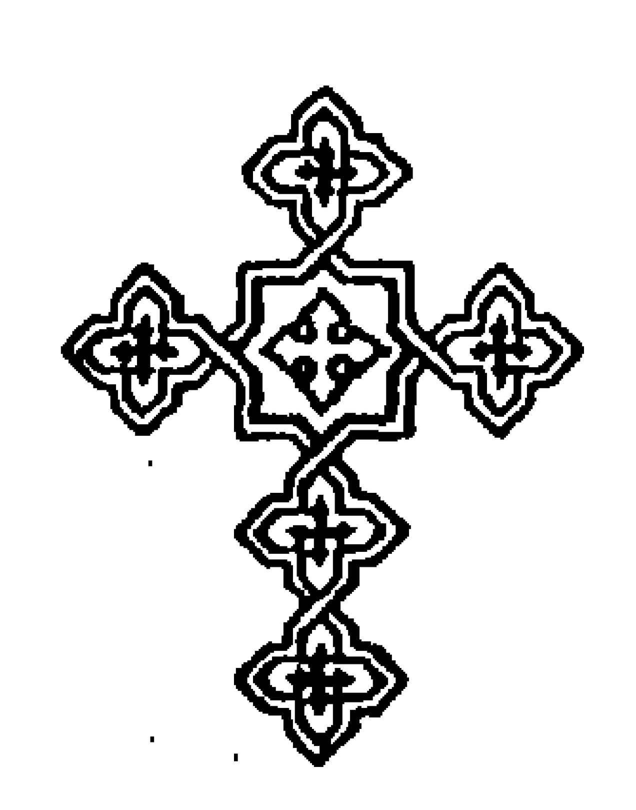
لقد طلب رحمة لبيت أنيسيفورس [١٦] ، وهو إبن للقديس بولس فى الإيمان ، قبل الإيمان على يديه فى أيقونية . عمل كتاجر فى أفسس ، وقد أراح الرسول أثناء سجنه ، ربما اهتم بتضميد جراحاته أو قام بزيارته كثيراً فى السجن معرضاً حياته للخطر .

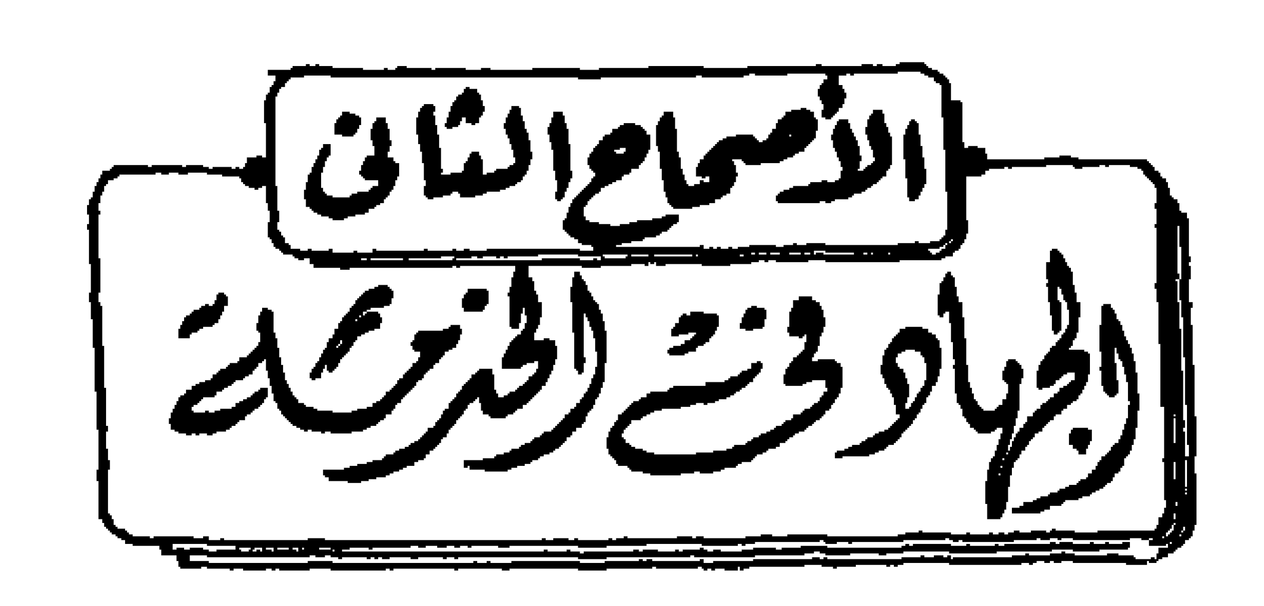
يرى غالبية المفسرين أن أنيسيفورس كان قد إنتقل من العالم فى ذلك الحين ، وقد طلب الرسول أن يجد رحمة لدى الله فى يوم الرب العظيم . وقد أخذ هذا النص كمثال للصلاة من أجل الراقدين ، فنطلب لهم الراحة لا بمعنى أن الصلاة عنهم تسند الأشرار غير التائبين وإنما نطلب عنهم من أجل أى توان أو تفريط سقط فيه المؤمنون . لهذا تصلى الكنيسة فى أوشية (صلاة) الراقدين ، هكذا : « إن كان لحقهم توان أو تفريط كبشر وقد لبسوا جسداً وسكنوا فى هذا العالم ، فأنت

كصالح ومحب البشر ، اللهم أنعم لهم بغفران خطاياهم . وقد حوت جميع القداسات الرسولية صلوات عن الراقدين .

يقول **القديس ديوناسيوس الأريوباغى** : « إن كانت خطايا المتوفى حقيرة فتجد منفعة مما يعمل بعده ، وإن كانت باهظة ثقيله فقد أغلق الله الباب فى وجهه [١٧] » . ويقول **القديس أغسطينوس** : « تقدم القداسات من أجل المؤمنين المنتقلين ، فإن كانوا صالحين تُدعى شكراً ، وإن كانوا أشراراً فلا تفيدهم شيئاً ، ولكنها تكون تعزية للأحباء [١٨] » .

يقول (الأب) روبرتسون : « يقيناً أن أنسيفورس كان ميتاً عندما كتب بولس الرسول هذه الكلمات التى تعتبر دليلاً معقولاً على أن موت أى شخص لا يحرمنا من الحق أو الواجب للصلاة عنه ، ويقيناً أن أمثال هذه الصلاة من أجل الموتى توجد فى قداسات العصور المسيحية الأولى ، وهى إلى الآن تكون جزءاً من القداسات المستخدمة فى جزء كبير من العالم المسيحى [١٩] » .





بعد أن كشف الرسول عن « روح القوة » الذى يعمل فى حياة الراعى خلال صليب ربنا يسوع المسيح ، الروح الذى ننعم به بواسطة الروح القدس الساكن فينا ، يتحدث هنا عن الجهاد فى الخدمة ، موضحاً كيف يحيا الخادم بروح القوة مجاهداً كل أيامه :

١ ــ **الجهاد والنعمة**	١ .
٢ ــ **تلمذة خدام جدد**	٢ .
٣ ــ **الجندية الروحية**	٣ــ١٣ .
٤ ــ **تجنب المماحكات الباطلة**	١٤ــ٢٠ .
٥ ــ **الجهاد والحياة الداخلية**	٢١ــ٢٢ .
٦ ــ **الجهاد والخصومات المفسدة**	٢٣ــ٢٦ .

* * *

١ ــ الجهاد والنعمة :

« فتقو أنت يا إبنى بالنعمة التى فى المسيح يسوع » (ع ١) .

إذ يود الرسول أن يتحدث عن جهاد الخادم فى تلمذته آخرين للعمل فى كرم الرب ، وفى اهتمامه بخلاص الآخرين دون أن يفسد وقته بالمماحكات الباطله ويحطم سلامه بالخصومات المفسدة، قدم النعمة الإلهية كسر القوة فى الجهاد . إنه يوصى تلميذه كإبن روحى له أن يتقوى فى الجهاد لا بالغيرة البشرية والحماس الذاتى وإنما بالنعمة التى توهب لنا فى المسيح يسوع ربنا .

ما أحوجنا أن تتشدد قوتنا بالنعمة : « تقووا فى الرب وفى شدة قوته » (أف ٦:١٠) . حينما اعتمد الرسول بطرس على غيرته البشرية ظاناً أنه قادر أن يرافق السيد حتى الموت سقط فى الإنكار بالرغم من إشتياقه الداخلى للجهاد ، لكن إذ سندته نعمة الله إستطاع أن يشهد للسيد المسيح محتملاً الآلام بفرح .

إذ يطلب الرسول من تلميذه أن يتحصن فى النعمة حتى يقدر أن يجاهد قانونياً يتحدث معه برقة ومحبة ، إذ يقول له « يا إبنى » .

٢ ــ تلمذة خدام جدد :

« وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً » (ع ٣) .

لا تقف أمانة الرسول فى جهاده واهتمامه بخلاص الآخرين ولا أن يتلمذ آخرين يهتمون بذات العمل ، وإنما يود أيضاً فى هؤلاء التلاميذ أن يتلمذوا جيلاً قادراً على التعليم . هذا هو الجهاد الحقيقى ، أو القيادة الروحية السليمة ، وهو أن يقيم الراعى تلاميذ قادرين بدورهم أن يتلمذوا أناساً أكفاء قادرين على التلمذه .

هذا هو مفهومنا للتسليم أو التقليد المقدس ... إنه تلمذة غير منقطعة خلال الأجيال لقبول وديعة الايمان الحىّ العملى بلا إنحراف .

٣ ــ الجندية الروحية :

« فاشترك أنت فى إحتمال المشقات كجندى صالح ليسوع المسيح ، ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكى يرضى من جنده . وأيضاً إن كان أحد يجاهد لا يكلل إن لم يجاهد قانونياً . يجب أن الحراث الذى يتعب يشترك هو أولاً فى الإثمار . إفهم ما أقول ؛ فليعطك الرب فهماً فى كل شيء » (ع ٣ــ٧) .

يقدم الرسول بولس ثلاثة أمثلة للجهاد الروحى : الجندى الأمين لحساب ملكه (٣ ، ٤) ؛ المشترك فى الألعاب الرياضية (٥) ، الحراث (٦) .

أ ــ الجندى الصالح الذى يعتز بأمانته لبلده ورئيس دولته إنما يحارب لحساب وطنه ، هكذا المسيحى فى جهاده الروحى يحارب كضد إبليس والخطية تحت قيادة رب المجد نفسه الذى جنده . يدعوه الرسول « رئيس (قائد) خلاصنا » (عب ٢:١٠) ، القائد الذى غلب إبليس على الصليب ولا يزال يغلبه خلالنا (رؤ ٣٧:٨) .

إنها كرامة عظيمة لا نستحقها أن نحسب جنود روحيين للرب ، من أجله تهون كل المشقات والآلام . إذ قبلنا هذه الجندية الروحية يلزمنا ألا نرتبك بأعمال الحياة

اليومية ، لا لأنها دنسة وإنما لأنها لا تليق بالمتجندين الذين كرسوا كل حياتهم لخدمه الكلمة .

ب ـــ المتسابقون فى الألعاب الرياضية يناضلون من أجل نوال الإكليل ، فيحتملون تداريب يومية ويمتنعون عن بعض الأطعمة والملذات حتى ينعموا بالفوز ، ونحن يلزمنا أن نجاهد قانونياً أى حسب شريعة مدربنا يسوع المسيح لكى ننعم بالنصرة الروحية . حقاً إن كثيرين يجاهدون ، لكن ليس قانونياً ، وذلك كالذين يتدربون على الألعاب الرياضية بغير مدرب حكيم ، هؤلاء غالباً ما يفشلون بل وقد يتطرفون فى إتجاه أو آخر مما يسبب لهم ضرراً صحياً وفشلاً فى المسابقات ونوال الإكليل . هكذا يليق بالمؤمن أن يجاهد لكن ليس بذاته وانما تحت قيادة سيده « المدرب الحقيقى » بروح كنيسته وفكرها الانجيلى الآبائى حتى لا ينحرف يميناً أو يساراً فى تطرف أو مبالغة مما يفقده حياته على الأرض وإكليله السماوى . حقاً ان الجهاد والمشقة أو الألم أمور صعبة لكنها متى كانت قانونية تصير مفرحة ومبهجة. يقول **القديس جيروم** فى حديثه عن مزامير المصاعد حيث يترنم اللاويون وهم يصعدون الخمسة عشر درجة للهيكل : « لا تفقد الثقة يا إنسان ، فان الرب واقف على الدرجة الخامسة عشر ؛ إنه يرقبك ويعينك ! فإن كنت على الدرجة الأولى وتبدو لك المسافة بين الدرجة الأولى والخامسة عشر لا يمكن تسلقها فلا تتطلع إلى الدرجات بل تطلع إلى الرب [٢٠] » . فالجهاد القانونى مؤلم مفرح ، مملوء أتعاباً لكنه يقدم للنفس سلاماً خلال تطلعها للمدرب الحقيقى وعضويتها فى كنيسته .

ويرى **القديس أمبروسيوس** أن الجهاد القانونى أو ما دعاه الرسول أيضاً بالجهاد الحسن (٥:٧) انما يعنى تكريس القلب بالكلية لهذا العمل دون إرتباك بأمور أخرى ، ذلك كمن يعمل لدى إمبراطور لا يليق به أن يرتبك بأعمال أخرى كالتجارة التى وإن كانت ليست محرمة لكنها تعنى استهانته بخدمه إمبراطوره [٢١] .

جـ ـــ الحراث الذى يتعب من أجل الثمر ، فان كان الحراث هو أول من يجاهد فى الزراعة إذ يحرث الأرض فانه يستحق نصيبه فى الثمر حتى وان كان غيره قد بذر وآخر حصد ... هكذا فى جهادنا نعمل ويكون لنا مكافأة حتى وان كان الثمر لا يحصد إلا بعد رحيلنا . لنحرث وغيرنا يبذر أو يسقى أو يحصد فإن نصيبنا فى الإثمار محفوظ فى الرب .

هذه هى الأمثلة الثلاثة التى قدمها الرسول ليشجع تلميذه على الجهاد ، ففى المثل الأول يؤكد التزامنا بالجهاد من أجل الملك المسيح نفسه ، وفى الثانى لنجاهد قانونياً حسب شريعة الرب ، وفى الثالث نجاهد من أجل الثمر حتى وان كان متأخراً .

أخيراً يوصيه : « **إفهم ما أقول** » ، لكنه لا يقدر أن يفهم الوصية كما ينبغى ما لم يفتح الروح القدس بصيرته ، لهذا يصلى الرسول من أجله : « **فليعطك الرب فهماً فى كل شىء** » . وكأن الرب هو المعين بنعمته ليس فقط فى الجهاد وانما أيضا فى الفهم .

بعدما حثه على الجهاد الروحى فى الرب ، مصلياً من أجله لكى يهب الرب فهماً ، قدم له السيد المسيح نفسه قائد الإيمان ومكمله (عب ١٢:٢) غالب ابليس ومحطم الموت ، إذ يقول : « **أذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلى ، الذى فيه إحتمل المشقات حتى القيود كمذنب ، لكن كلمة الله لا تقيد** » (ع ٨ ، ٩) .

قاد السيد المسيح المعركة الروحية بنفسه ضد الموت ، فدخل إليه لكى يكسر شوكته فى عقر داره . فقد تجسد كلمة الله لكى يدخل بالجسد إلى الموت ، وإذ لا يستطيع الموت أن يحبسه ولا للفساد أن يقترب إليه يقوم بسلطانه لكى يقيمنا معه ويدخل بنا إلى الحياة الجديدة المقامة . يقول الرسول : « فدفنا معه بالمعمودية للموت ، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب ، هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة » (رو ٦:٤) . لقد صار ابنا لداود وخضع للآب عوضاً عنا وقبل الموت بارادته ... حتى نُحسب نحن طائعين لأبيه فيه فننعم بقوة القيامة التى له .

هذا هو موضوع كرازته ، إذ يقول الرسول : « **بحسب إنجيلى** » أن ننعم بحياته المقامة الغالبة للموت . لقد إحتمل السيد المشقات حتى القيود كمذنب أى كفاعل شر (يو ١٨:٣٠) مع أنه البار الذى لا يعرف خطية . قيدوه حسب الجسد كمن هو تحت الحكم ، لكنه هو واهب الحرية الذى لا يُقيد داخليا ... « **لكن كلمة الله لا تقيد** » ، إذ لا يمكن للكلمة الإلهى الخالق أن يُقيد ! هكذا فى المسيح يسوع قد يقيد الخدام حسب الجسد ، لكن لا يقدر أحد أن يقيد

كلمة الله التى تُعلن بالأكثر خلال قيود الجسد . يمكن تقييد اجسادهم أما شهادتهم للرب فلا تتوقف . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « أيدينا مقيدة وليس لساننا ، إذ لا يوجد ما يقيد اللسان إلا الجبن وعدم الإيمان . فإذ لا يوجد هذان الأمران فينا فإنه حتى وان قيدنا بالسلاسل فان الكرازة بالانجيل لا تقيد ... إنها كلمة الله وليس كلمتنا ! القيود البشرية لا تقدر أن تقيد كلمة الله (٢٢) » .

بعد أن قدم الرسول السيد المسيح مثالاً أعظم لاحتمال الآلام والقيود من أجل خلاصنا عاد ليقدم نفسه مثلاً يقتدى أثر سيده ، إذ يقول : « **لأجل ذلك أنا أصبر على كل شيء لأجل المختارين ، لكى يحصلوا هم أيضاً على الخلاص الذى فى المسيح يسوع مع مجد أبدى** » (ع ١٠) .

لقد احتمل سيدى المشقات من أجل خلاصى ، ولم يكن ممكنا للقيود أن تعطل عمله ، وها أنا أحتمل بصبر أيضاً من أجل اخوتى المختارين لكى ينعموا معى بالخلاص وتكون لهم معى شركة فى المجد الأبدى . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « أنظر أيضاً هناك باعث آخر ، إذ يقول إنى لا أحتمل هذه الأمور لأجل نفسى وإنما لأجل خلاص الآخرين . فى قدرتى أن أعيش متحرراً من المخاطر ولا أعانى شيئاً من هذه المشقات ، لو كنت أهتم بما هو لى وحدى . إذن لماذا أحتمل هذه الأمور ؟ من أجل نفع الآخرين كى ينالوا الحياة الأبدية ... إنه لم يقل لأجل أشخاص معينين وانما « لأجل المختارين » . إن كان الله إختارهم فإنه يليق بنا أن نحتمل كل شيء من أجلهم « لكى يحصلوا هم أيضاً على الخلاص » . بقوله « هم أيضا » يعنى أنهم يحصلون على ما نحصل نحن أيضاً عليه ، لأن الله إختارنا نحن أيضاً . وكما تألم الله لأجلنا يليق بنا نحن أيضاً أن نتألم لأجلهم (٢٣) » . لقد تألم السيد عنا مقدماً آلامه هبة مجانية أو نعمة نتمتع بها ، أما نحن فنتألم من أجلهم مقابل آلامه عنا ، فنرد الحب بالحب ، كمن يشتاق أن يفى شيئا من الدين . لكننا مهما قدمنا من أجل إخوتنا نبقى مدينين لمخلصنا بكل حياتنا .

إذ ننعم بعمل الله الخلاصى ونقبل آلامه من أجلنا نتذوق عربون المجد الأبدى فتهون كل الآلام والمشقات من أجل تمتع إخوتنا بذات المجد الأبدى .

أخيراً يختم الرسول حديثه عن الجندية الروحية بنشيد الغلبة والنصرة ، قائلاً :

« **صادقة هى الكلمة أنه إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضا معه . إن كنا**

نصير فسنملك أيضاً معه . إن كنا ننكره فهو أيضاً سينكرنا . إن كنا غير أمناء فهو يبقى أمينا لن يقدر أن ينكر نفسه » (١١ــ١٣) .

هذا هو النشيد الذى يليق بكل جندى روحى ليسوع المسيح أن يتغنى به أثناء معركته ضد إبليس أو ضد الموت . إنها تسبحة الايمان بالمسيح المصلوب القائم من الأموات ، فيها نعلن قبولنا الموت معه لأجل التمتع بالحياة فيه ، نحتمل الآلام بصبر لكى نملك معه ، إن اعترفنا به قدام الناس خلال قبولنا الآلام والموت من أجله يعترف هو بنا أمام أبيه ، وإن أنكرناه ينكرنا (مت ١٠:٣٢ ، ٣٣) . إن جاهدنا بأمانة ننال الإكليل ، وإن لم نكن أمناء يرسل رعاة أمناء يهتمون بشعبه دون أن نعفى نحن من المسئولية . بأسلوب آخر نعلن فى هذه التسبحه سمات الجندى الروحى للرب : الموت عن الخطية ، الصبر وسط الآلام ، الشهادة للسيد المسيح ، والأمانة حتى الموت !

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارات ، قائلاً : كيف نموت معه ؟ إنه يقصد الموت الذى يتم فى الجرن وفى الآلام ، إذ يقول : « حاملين فى الجسد إماتة الرب يسوع » (٢كو ٤ ، ١٠) : « دفنا معه بالمعمودية للموت » (رو ٦:٤) ، « إنساننا العتيق قد صُلب معه » ، « متحدين معه بشبه موته » (رو ٦:٦ ، ٥) . لكنه هنا أيضاً يتحدث عن الموت بواسطة المحاكات ، خاصة وأنه كان يعانى منها أثناء كتابته هذه . هذا هو ما يقصده بقوله هنا : « إن كنا قد متنا معه فسنحيا معه [٢٤] » . كما يقول أيضا : « إن كنا ننكره فهو أيضاً سينكرنا ، هكذا يكون الجزاء لا فى الأمور الصالحة فقط وانما أيضا فيما هو ليس بصالح ... لكن الجزاء لا يكون مساوياً للفعل ، لاننا نحن الذين ننكره بشر أما هو الذى ينكرنا فإله . وما أعظم الفارق بين البشر والله ؟ ! ... هذا ومن ناحية أخرى نحن نضر أنفسنا أما هو فلا يصيبه ضرراً ، وقد أوضح هذا بقوله : « إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً لن يقدر أن ينكر نفسه » بمعنى أنه إن كنا لا نؤمن أنه قام من الأموات فعدم إيماننا لن يضره ... وان كان الله لن يصيبه ضرراً نهائياً بانكارنا إياه ، فإنه لا يرغب فى اعترافنا به إلا لنفعنا نحن [٢٥] » .

٤ ــ تجنب المماحكات الباطلة :

الخادم الذى يسلك بروح القوة لا يقبل الدخول فى المماحكات الباطلة ، بل ويطلب من المؤمنين أن يتجنبوها حتى لا تهدمهم روحياً . يقول الرسول : « **فكر (ذكرهم) بهذه الأمور ، مناشداً (أياهم) قدام الرب أن لا يتماحكوا**

بالكلام ، الامر غير النافع لشىء لهدم السامعين » (ع ١٤) . يطالبه الرسول أن يذكر الشعب ويوصيهم قدام الرب أن يتركوا كثرة الكلام الذى يهدم النفس ، كما يطالبه أن يهتم هو أيضاً بالحياة العملية المجاهدة عوض المماحكات الباطلة ، إذ يقول له : « **إجتهد أن تقيم نفسك لله مزكى عاملاً لا يخزى ، مفصلاً كلمة الحق بالاستقامة** » (ع ١٥) . ليكن كل فكره متجها إلى التزكية قدام الله لا النصرة بالكلام مع الناس ، ويبذل كل جهده أن يكون كالعامل الذى لا يخجل من احتمال المشقات لأجل الانجيل ، أى التمتع بكلمة الحق .

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن قوله « **مفصلاً كلمة الحق بالاستقامة** » يعنى تركيز الجهاد على اعلان الحق واقتلاع كل ما هو لغو زائد . وكأن الراعى الصالح ينزع بسيف الروح من كرازته كل ما هو غريب عن الحق . بهذا يحصن الرسول تلميذه من الغنوسيين الذين يفسدون وقتهم بما يلقبونه خطأ « المعرفة » ، وهى فلسفة كلام لغو لا يحمل روح التقوى ، بعيداً عن الإيمان .

هذا البتر له أهميته إذ يوقف تيار الشر المتزايد بسبب البدع الغنوسية ، إذ يقول : « **وأما الأقوال الباطلة الدنسة فاجتنبها ، لأنهم يتقدمون إلى أكثر فجور وكلمتهم ترعى كآكلة** » (ع ١٦) الأقوال الباطلة تدخل بهم من شر إلى شر فتكون كالقرحة الآكلة التى تفسد الجسد . إنهم يؤمنون بالمعرفة ***(gnosis)*** الكلامية عوض الإيمان ، خلال هذه المعرفة يظنون أن الجسد عنصر ظلمة خالقه إن لم يكن شريراً فهو أقل من خالق الروح . هذه العقيدة جعلتهم يرفضون القيامة من الأموات ، حاسبين أن القيامة الروحية تحققت بالنسبه للنفس هنا ولا تتحقق بالنسبة للجسد عنصر الظلمة . هذه النظرة قدمت لهم مفهوماً دنساً من جهة الزواج وتناول بعض الأطعمة ، بكونها أمور نجسة محرمة . هذا أيضاً دفع بعضهم إلى عدم المبالاة بالنسبة لتقديس الجسد فرأوه كعنصر ظلمة يُترك له العنان فى شهواته بلا ضابط . وهكذا ينحرفون من فكرة إلى أخرى ، ومن شر إلى شر ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفهم** : « إنهم لا يقفون عند هذا الحد ، فإنهم إذ يقدمون شيئاً جديداً ينتجون وراءه أفكاراً جديده على الدوام . هكذا لا يتوقف إنحرافهم عن الميناء الآمن بل يزداد بغير حدود [٢٦] » .

قدم الرسول مثالاً لانحراف هؤلاء المبتدعين ، قائلا : « **الذين منهم هيمينايس وفيليتس ، اللذان زاغا عن الحق قائلين أن القيامة قد صارت فيقلبان إيمان قوم** » (ع ١٧) . قالا بأن القيامة تحققت فعلاً فى حياتنا روحياً ولن تحدث بعد بالنسبة للجسد .

يعلق **القديس أغسطينوس** على هذه العبارة : « كثيرون ينكرون قيامة الجسد مؤكدين أن القيامة قد حدثت فعلاً بالايمان ... يقولون أنها حدثت بطريقة خلالها لا يتوقعون حدوثها بعد ، بل ويلومون الذين يتطلعون إلى قيامة الجسد كما لو كانت القيامة التى وعدنا بها قد تحققت بعمل الايمان فى الذهن فحسب [٢٧] » . كما يقول : « حقاً توجد قيامة تتحقق الآن ، فإن غير المؤمنين كانوا أمواتاً ، الأشرار كانوا موتى ، أما الأبرار فهم أحياء ، عبروا من موت عدم الإيمان الى حياة الإيمان . لكن هذا لا يعنى عدم اعتقادنا فى القيامة المقبلة بالنسبة للجسد [٢٨] » .

إذ يتحدث الرسول عن تجنب مماحكات الهراطقة الكلامية ، الذين يشوشون الصورة فيظن البعض أنهم طغوا على صوت الحق ، أكد الرسول حفظ الله لأولاده المؤمنين فى الحق ، قائلاً :

« ولكن أساس الله الراسخ قد ثبت إذ له هذا الختم ، يعلم الرب الذين هم له ، وليتجنب الإثم كل من يسمى إسم المسيح . ولكن فى بيت كبير ليس آنية من ذهب وفضة فقط بل من خشب وخزف أيضا ، وتلك للكرامة وهذه للهوان » (ع ١٨-٢٠) .

مهما دخلت الضلالات والبدع ومهما انتشرت الشرور ، فإن أساس الله ثابت وكنيسته قائمة ، وأولاده معروفون ومحفوظون مختومون بختم الروح القدس فيدعى عليهم إسم المسيح . إنهم آنية ذهبية وفضية فى السماء بيت الله ، يحملون كرامة ! حقاً توجد أوانى اختارت لنفسها الهلاك ، هذه التى لم تحتمل الحق فيها ولا قبلت عمل الروح القدس ولا دخلت فى العضوية فى جسد المسيح ، هذه التى هى من الخشب والخزاف تحمل هواناً .

يقول **القديس أغسطينوس** أن من يتطلع إلى شجرة يرى أوراقها كثيرة لكن غالباً ما يكون الثمر مخفياً وراء الورق مثل (التين) ، هكذا بسهولة يظهر الهراطقة والأشرار فيبدو كأنه لا يوجد بعد مؤمنون لكن من يقترب إلى الشجرة ببصيرة روحية يدرك وجود أولاد الله المقدسين مختفين . هؤلاء متأسسون على السيد المسيح نفسه كقول الرسول : « فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذى وضع الذى هو يسوع المسيح » (١كو ٣:١١) . كما يقول : « مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذى فيه كل البناء مركباً

معاً ينمو هيكلاً مقدساً فى الرب ، الذى فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً للّه فى الروح » (أف ٢ : ٢٠ــ٢٢) . هذا هو سرّ قوة الروح الذى فينا أننا متأسسون على السيد المسيح نفسه ، ولنا ختم روحه القدوس ، الذى خلاله « يعلم الرب الذين هم له » .

لقد سبق لنا دراسة « الختم » [٢٩] بكونه علامة الملكية للّه ، كقول **القديس ديديموس الاسكندرى** : « عندما نغطس فى جرن المعمودية ، فبفضل صلاح الله الآب وبنعمة روحه القدوس نتعرى من خطايانا إذ نتخلص من الانسان القديم ونتجدد ، ونختم بقوته لملكيته الخاصة . ولكن عندما نخرج من جرن المعمودية نلبس المسيح مخلصنا كثوب لا يبلى ، مستحقاً لكرامة الروح القدس عينها ، الروح القدس الذى جددنا ودمغنا بختمه ... لا يمكن لأحد أن يحصل على المواهب السماوية ما لم يتجدد بروح اللّه القدوس ويدفع بختم قداسته ، ولو كان كاملاً فى حياة بلا عيب فى كل شىء آخر [٣٠] » . والختم أيضا علامة الدخول تحت حماية الله كقول **القديس غريغوريوس النزينزى** : « القطيع الموسوم بعلامة لا يُسلب بمكر بسهولة ، أما القطيع الذى لا يحمل العلامة فهو غنيمة للصوص [٣١] » . والختم هو علامة الجندية الروحية ، كقول **القديس كيرلس الاورشليمى** لطالبى العماد : « يأتى كل واحد منكم ويقدم نفسه أمام الله فى حضرة جيوش الملائكة غير المحصية ، فيضع الروح القدس علامة على نفوسكم . بهذا تُسجل أنفسكم فى جيش الله العظيم [٣٢] » . هذا الختم أبدى لمجدنا أو دينونتنا ، وكما يقول **القديس أغسطينوس** : « تمسك بما نلته فإنه لن يتغير . إنه وسم ملكى ! [٣٣] » .

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** فى حديث الرسول بولس الذى بين أيدينا أمرين : تحذير لئلا نهمل فى الختم الذى صار لنا بالروح القدس ، وتشجيع فلا نخاف لوجود هراطقة وأشرار . إذ يقول : « ليتنا لا ننزع عنا الختم الملوكى والعلامة الملوكية لئلا نحسب مع غير المختومين ، فلا نكون أصحاء ، انما يليق بنا أن نكون متأسسين بثبات على الأساس فلا نحمل إلى هنا وهناك [٣٤] » ، كما يقول : « انه يقصد أن يقول : لا تضطربوا لوجود فاسدين وأشرار ، فإنه فى بيت كبير يوجد مثل هذه الأوانى ... لكنها لا تنال كرامة [٣٥] » .

يوجد معلمون أمناء ومؤمنون كأوان ذهبية وفضية فى بيت كبير لهم كرامتهم فى

الرب ؛ أما الذهب فيشير الى طبيعتهم الجديدة السماوية ، والفضة فتشير الى حبهم لكلمة الله المصفاة كالفضة سبع مرات . فالمعلم الحق هو من يحيا بفكر سماوى لا يرتبط قلبه بالماديات ولا تتعلق نفسه بأمجاد زمنية ، يتمسك بكلمة الله (الفضة) ويختفى وراءها فلا يقدم لشعبه مما حكات كلامية فاسدة وانما حياة انجيلية صادقة . أما المراطقة الفاسدون فيشار إليهم بالخشب والخزف ؛ إنهم كالخشب يحترقون بنار الشهوات فلا يوجدون ، وكالخزف يحملون الفكر الترابى ويطلبون الماديات ولا يقدرون على معاينة السمويات أو التعرف عليها .

ما نقوله عن المعلمين والهراطقة ينطبق بدرجة أو أخرى على الشعب أيضا ، فمنهم من هو ذهبى أو من الفضة ومنهم من هو خشبى أو خزفى ... لكن هل لنا نميز الآن الناس ؟

يجيب **القديس كبريانوس** قائلاً : « إنه لكبرياء وتشامخ أن يتجاسر أحد يظن أنه قادر أن يفعل ما لم يهبه الله حتى للرسل ، فيحسب أنه يستطيع تمييز الزوان عن الحنطة ... ومن يفكر أنه يختار الأوانى الذهبية والفضيه ويحتقر الاوانى الخشبية والخزفية ويحتقرها ويطردها ، مع أن الأوانى الخشبية لا تحرق إلا يوم الرب بالنار الإلهية المحرقة ، والأوانى الخزفيه لا يسحقها إلا ذاك الذى أعطى له قضيب من حديد [٣٦]. » . كما يقول : « ان كان يبدو وجود زوان فى الكنيسة لكن إيماننا ومحبتنا لا تُعاقا ، فلا نترك الكنيسة لأننا نرى فيها زواناً ، بل بالحرى يليق بنا أن نجاهد لكى نكون نحن أنفسنا حنطة ، حتى متى أُبتدىء فى جمع الحنطة معا فى بيدر الرب ننال ثمراً عن تعبنا وعملنا ... لنجاهد أيها الاخوة الأحباء لنكون أوانٍ من ذهب أو فضة ، لكن للرب وحده أن يسحق الأوانى الخزفية هذا الذى أُعطى له القضيب من الحديد . أما العبد فلا يكون أعظم من سيده ، ولا يدعى لنفسه ما أعطاه الآب للإبن وحده ، فيظن انه قادر ان يأخذ المذراة وندرى الحصاد ... أو قادر أن يفصل كل الحنطة عن الزوان بحكم بشرى [٣٧] » .

ليس فقط ليس لنا أن ندين ونفرز الحنطة عن الزوان ، والأوانى التى للكرامة عن التى للهوان ، وانما يليق بنا أن نطمئن أن الحنطة لا تهمل من الله بسبب الزوان ولا الأوانى المكرمة تفقد كرامتها بسبب التى للهوان ، اذ يقول الرسول : « **يعلم الرب الذين هم له** » . وفى هذا يقول **القديس أغسطينوس** : « ليس من أجل التبن تهلك الحنطة (مت ٣:١٢) ، ولا من أجل السمك الردىء لا يؤخذ فى الأوعية

شيئاً من الشبكة (مت ١٣: ٤٧) ... لقد سبق فعيننا قبل أن نولد ، واعداً إيانا بيقين : « الذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً ، والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً ، والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً » (رو ٨: ٣٠) (٣٨) » . كما يقول : « حتى إن كانت البذار مختفية فى التبن لكنها معروفة لدى صاحب الحقل . لا يخف أحد متى كان بذرة ، حتى وإن كان وسط تبن ، فان عينى الذى يذرينا لا تنخدعان (٣٩) » .

٥ ــ الجهاد والحياة الداخلية :

إن كان فى البيت الكبير توجد آنية للكرامة وأخرى للهوان ، والله يتمجد فى هذه كما فى تلك ، فقد يظن أحد أنه لا ذنب له فيما يرتكب من شرور ، لأنه « إناء للهوان » ، وكأنه قد جلب ليكون هكذا . لهذا يعود الرسول فيؤكد حرية الإرادة الانسانية التى يقدسها الرب ويبجلها ، قائلاً : « **فإن طهر أحد نفسه من هذه يكون إناء للكرامة مقدساً نافعاً للسيد مستعداً لكل عمل صالح** » (ع ٢١) . ماذا يعنى ! إن طهر أحد نفسه ، إلا تأكيد حرية الانسان ورفض القائلين بخلقة طبائع بشرية صالحة وأخرى فاسدة ... لقد أكد الرسول أن الانسان فى كمال حريته أن يتغير من إناء للهوان إلى إناء للكرامة ، وان كان هذا يتحقق لا بامكانياته البشرية الذاتية انما بعمل نعمة الله الغنية . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « أنظر إنه ليس بسبب طبيعة الإنسان ولا عن إلزام يكون الإناء ذهبياً أو خزفياً ، إنما يتحقق ذلك عن محض اختيارنا ؛ وإلا لما كان للإناء الخزفى أن يصير ذهبياً ، ولا أن ينحط الذهبى إلى تفاهة الآخر ... لقد كان بولس إناءً خزفياً وقد صار ذهبياً ، وكان يهوذاً ذهبياً وصار خزفياً (٤٠) » . وقد استخدم **العلامة أوريجانوس** عبارة الرسول هذه لتأكيد الحرية الإنسانية التى تمجد الله (٤١) .

هكذا يحثنا الرسول بولس على الجهاد بتطهير حياتنا الداخلية وتحويلها من الحالة الخزفية إلى الذهبية ، أى تحويلها عما هو ترابى وأرضى إلى ما هو سماوى وذلك بفضل نعمة اللّه العاملة فينا . هذا هو عمل الروح القدس النارى ، إذ يقدس أعماق النفس فى الداخل لتحمل صورة خالقها ، وذلك خلال الميلاد الجديد الذى ننعم به فى مياه المعمودية والتجديد المستمر غير المنقطع ، لعلنا نبلغ الى قياس ملء قامة المسيح السماوى .

كأن الرسول يود أن يعلن لتلميذه تيموثاوس ، بل ولكل راعٍ ، أنه لا نجاح للخدمة بدون تقديس الحياة الروحية للراعى ونموها بغير إنقطاع ، أما العدد الأول لهذه الحياة المقدسة الذى يجعل الأناء خزفياً أى أرضياً فهو الشهوات الجسدية ، لهذا يقول له : « **أما الشهوات الشبابية فاهرب منها واتبع البر والايمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقى** » (ع ٢٢) .

إهتم الرسول بالجانبين : السلبى والإيجابى لنمو حياة الراعى الروحية . فمن الجانب السلبى يلتزم بالهروب من العثرات أو من الشهوات الشبابية ، أما الجانب الايجابى فهو الالتزام باتباع البر والإيمان والمحبة والسلام . فلا يكفى الهروب من الشر انما يلزم الشبع بالخير ، ولا يكفى ترك الخطية انما يلزم إقتناء السيد المسيح برنا وسلامنا وسرّ حبنا وإيماننا .

يليق بالخادم الحقيقى أن يحذر الشهوات الشبابية فلا يظن فى نفسه أنه محصن مهما كان ماضيه طاهراً أو مهما بلغ من العمر ، ولا يحسب حذره هذا ضعفاً بل علامة القوة والجدية .

ماذا يقصد الرسول بالشهوات الشبابية ؟ يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « لا تعنى شهوات الزنا فحسب وانما تضم كل شهوة شاذة . ليت كبار السن يتعلمون أنه ينبغى عليهم ألا يقوموا بأعمال شبابية . إن كان أحد يستسلم للغطرسة أو حب السلطة أو الغنى أو الملذات الجسدية تحسب هذه شهوات شبابية غبية . فإن هذه الأمور تصدر عن قلب غير مستقر بعد ، وعن فكر مذبذب ليس له أساس عميق . إذن بماذا ينصح (الرسول) حتى لا يؤسر الإنسان بهذه الأمور ؟ « إهرب من التصورات الشبابية » ، بل « واتبع البر والايمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقى » . إنه يدعو الفضيلة بوجه عام « براً » ، وتقوى الحياة والإيمان والوداعة والمحبة . وماذا يعنى بقوله : « الذين يدعون الرب من قلب نقى ؟ » . إنه كمن يقول : إفرحوا لا بالذين يدعون الرب فحسب وانما بالذين يدعونه بصدق واخلاص ، الذين هم بلا خداع ، يقتربون إليه فى سلام غير محبين للنزاع . إلتصق بمثل هؤلاء ، أما بالنسبة للآخرين فلا تهادنهم لكن سالمهم قدرما تستطيع [٤٢] » .

على أى الأحوال إمتاز الرعاة الصادقون بالحذر من كل ما هو معثر والجهاد فى

التمتع بكل ما هو للبنيان فى المسيح يسوع ، فمن كلماتهم :

+ إنى اعتقد أن الحكمة تقتضى منا ان نستمسك بتقاليد الاكليروس خصوصاً الذين انتظموا بالفعل فى سلك الكهنوت ، فيجب علينا — بنوع خاص — ان نتجنب حفلات الغرباء ، على أن لا يكون فى ذلك أى مساس باضافة المسافرين.

+ بالنسبة لصغار السن من الاكليروس فلا حاجة بهم إلى التردد على بيوت الأرامل والعذارى إلا فى زيارة محدودة . وإذا اقتضت الضرورة فليصحب معه واحدا من الشيوخ كالأسقف أو كبار الكهنة . ولماذا نعطى للعالم فرصة حتى ينتقدنا ؟

القديس أمبروسيوس (٤٣)

+ إعط إهتماماً مساوياً لكل عذارى المسيح أو عدم مبالاة متساوٍ ، غير مميز بينهن .

لا تبطىء فى البقاء معهن تحت سقف واحد ، معتمداً على عفتك السابقة ، فأنت لست بأقدس من داود ولا أحكم من سليمان .

إحذر من كل ما يسبب شكاً أو عثرة ، متجنباً للفضائح ، مغلقاً على كل عمل يسبب شكاً .

القديس إيرونيموس (٤٤)

٦ — الجهاد والخصومات المفسدة :

لا يقف تقديس الحياة الداخلية عند الهروب من الشهوات الشبابية واتباع البر ... وإنما برفض الخصومات المفسدة لنقاوة النفس تحت ستار الدفاع عن الحق ، إذ يقول : « **والمباحثات الغبية والسخيفة إجتنبها ، عالماً أنها تولد خصومات . وعبد الرب لا يجب أن يخاصم ، بل يكون مترفقاً بالجميع ، صالحاً للتعليم ، صبوراً على المشقات ، مؤدباً بالوداعة المقاومين ، عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق ، فيستفيقوا من فخ إبليس إذ قد إقتنصهم لإرادته** » (ع ٢٣—٢٦) .

التزام الراعى أن يفصل كلمة الحق باستقامة وأن يحفظ وديعة الايمان بلا انحراف لا يعنى دخوله فى مباحثات غبية وسخيفة تولد خصومات ، وتفسد نقاوة قلبه ، وتنزع عنه سلامه الداخلى . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « ولا حتى فى المباحثات يخاصم ، فإن عبد الرب لا يجب أن يخاصم ما دام الله نفسه إله

السلام [٤٥] » . هكذا لا يليق به أن يقدم الحق خلال دخوله فى خصام ، فإن الوداعة — حتى فى المناقشات وفى الانتهار — أكثر فاعلية فى حياة الآخرين من العنف أو الخصام ولو كان من أجل الحق . لهذا يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « يليق بمن يعلم أن يهتم على وجه الخصوص أن يحقق عمله بالوداعة ، فان النفس التى ترغب فى التعلم لا تتقبل التعليم النافع خلال الخشونة والنزاع [٤٦] » . ان كان ربنا يسوع المسيح هو المعلم الأعظم العارف باسرار قلوبنا وله حق إدانتنا وتوبيخنا قيل عنه : « لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته » (مت ١٢:١٩) ، فكم بالحرى يليق بنا ان نكون ودعاء مع إخوتنا فى تعليمهم اذ نتعرض نحن لنفس ضعفاتهم ؟ !

قدم الرسول بولس أربع سمات هامة للمعلم الحقيقى :

أولاً : الترفق بالجميع ، فلا ييأس من أحد ، ولا يخاصم أحداً . ولعله أراد أن يصد فكر الغنوسيين الذين كانوا يميزون بين المؤمنين الى طبقات معينة مثل الكاملين والبسطاء .

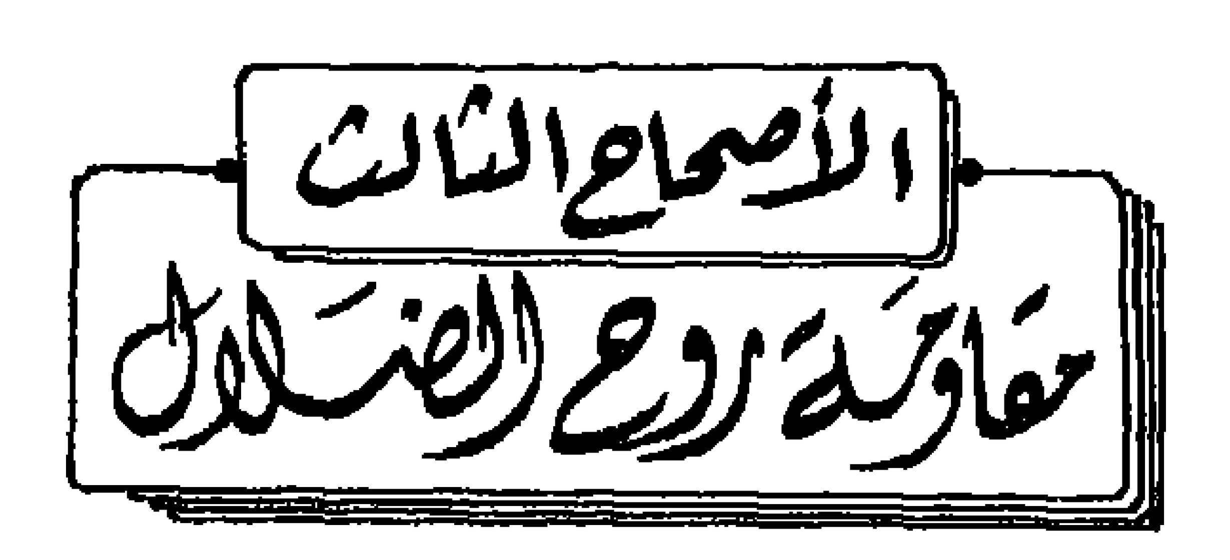
ثانياً : لا يكفى ان يكون وديعاً مترفقاً وتقياً فى حياته لكن يليق بالراعى ان يكون « قادراً على التعليم » ، فالله الحكمة ذاته ومعلم المسكونة ، يريد فى رعاته أن يتعلموا ويعلموا ، حتى لا يهلكوا ولا يهلكوا الآخرين [٤٧] .

ثالثاً : صبوراً على المشقات ، وذلك كالمزارع الذى قد يتعب لسنوات منتظراً الثمار من الشجر ، وربما يتعب لكى يجنى أولاده ثمار غرسه الأشجار .

رابعاً : وديعاً فى تأديباته ، حتى يقدر بروح سيده الوديع أن يرد الخطاة الذين اقتنصهم إبليس فى مخاخه .

إن كان العدو يقتنص البشر بمكر ، فلا يليق بالرعاة أن يستخدموا العنف فى انقاذهم إنما بالروح الوديع يستردوهم . النفس وسط الفخ تصير أسيرة لأفكار العدو ومحطمة ومملوءة اضطراباً ، لذا فهى فى حاجة الى قلب وديع مملوء حناناً وترفقاً حتى يسندها ويردها لا إلى من يزيدها تحطيما بكلمات العنف والتوبيخ . أو كما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** ان الجرح لا يحتاج إلى مواد ملهبة بل الى زيت رطب لكى يبرأ .

* * *



لا تقف رسالة الراعى عند الجهاد فى حياته الخاصة ليحيا مقدساً للرب ، وإنما يليق به مقاومة البدع والهرطقات وكل ضلال سواء من جهة التعليم أو السلوك بحكمة سماوية .

١ ــ الهرطقات والشر	١ــ٥ .
٢ ــ المعلمون الفاسدون	٦ــ٩ .
٣ ــ إحتمال مضايقاتهم	١٠ــ١٣ .
٤ ــ الاستناد على كلمة الله	١٤ــ١٧ .

* * *

٢ ــ الهرطقات والشر :

إذ تحدث عن المباحثات الغبية والمفسدة بدأ يتحدث عن الضلال خاصة من جهة السلوك ، فغالبا ما ترتبط الهرطقات والبدع بالحياة الشريرة ، إذ هى فى جوهرها تقوم على الأنا أو حب الذات والمجد الباطل وحب الانشقاق ... فيتلاحم الفكر المنحرف عن الحق بالسلوك الشرير .

يقول الرسول : « **ولكن اعلم هذا أنه فى الأيام الأخيرة ستأتى أزمنة صعبة ، لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم** » (ع ١ ، ٢) . يقصد بالأزمنة الأخيرة بعد مجىء الإبن الكلمة المتجسد ، فإن كان فى ملء الزمان تقدم الله باعلان الحب بتحقيق خلاصنا خلال صليب إبنه ، فإن الشيطان بدوره يثير العاملين لحسابه لمقاومة الحق . إنها أزمنة النعمة بالنسبة للمؤمنين ، وأزمنة صعبة بالنسبة للمخدوعين بحيل إبليس وأضاليله .

على أى الأحوال فى كل عصر يعلن الله محبته وفى نفس الوقت يثير إبليس أتباعه للتضليل ، وقد قدم الرسول بولس مثالاً بعصر موسى النبى ، إذ يقول : « وكما قاوم ينيس ويمبريس موسى كذلك هؤلاء أيضاً يقاومون الحق . أناس فاسدة أذهانهم ومن

جهة الايمان مرفوضون » (ع ٨) . إذن فالعيب ليس فى الزمان وانما فى قلب الانسان الشرير . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** « لا تلم الأيام والأزمنه بل الناس عبر الأزمنة ، فقد إعتدنا الحديث عن أزمنة صالحة وأزمنة شريرة ، وذلك خلال الأحداث التى تحدث لنا بواسطة الناس [٤٨] » .

أما جذر الشر وأساسه فهو الأنا أى محبة الانسان لذاته ، فيتقوقع حولها ويقيمها إلها له ، يود ان الكل يخدمها عوضاً عن أن يخدم الآخرين ، فيضر نفسه وهو لا يدرى . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « من يهتم بأمور الآخرين انما يهتم بشئونه الخاصة ... ومن يستهين بأمور إخوته إنما يهمل ما يخصه هو . فإن كنا أعضاء الواحد للآخر ، فان نفع أخينا لا يعود عليه وحده انما يعود على الجسد كله ، والضرر الذى يصيب أخانا لا يقف عنده وحده انما يصيب بقية الجسد بالآلام . هكذا فى الكنيسة إن كنت تستخف بقريبك إنما تضر نفسك [٤٩] » . وأيضا يعلق على كلمات الرسول : « **لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم** » (ع ٢) ، قائلا : « إنه يضع الجذر أو الأساس الذى تنبع عنه الشرور ... فمن يحب نفسه (الأنا) ، ويقال عنه انه غير محب لنفسه ؛ أما من يحب أخاه فهو محب لنفسه بالمعنى الحقيقى [٥٠] » .

هكذا يضع الرسول بولس محبة الذات أو الأنا أو الكبرياء كاساس للشر والهرطقة ، لهذا اذ يتكلم **القديس أغسطينوس** عن الهراطقة يقول : « كيف يقاومون الحق إلا بواسطة غرور كبريائهم المتشامخ باطلاً ؛ « بينما يقيمون أنفسهم متشامخين الى العلى كعظماء وأبرار إذا بهم يعبرون كالهواء الفارغ [٥١] » .

خلال محبة الذات أو الكبرياء يضيق قلب الانسان جداً فلا يطلب الا ما لذاته من محبة مال أو شهوات ... فينسحب القلب من خطية الى أخرى ، تسلمه هذه الى تلك ليصير ألعوبة الخطايا والنجاسات ، يفقد ارادته الحرة وقدسيته ليعيش فى مذلة وضعف . يقول الرسول : « **لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم ، محبين للمال ، متعظمين ، مستكبرين ، مجدفين ، غير طائعين لوالديهم ، غير شاكرين ، دنسين ، بلا حنو ، بلا رضى ، ثالبين ، عديمى النزاهة ، شرسين ، غير محبين للصلاح ، خائنين ، مقتحمين ، متصلفين ، محبين للذات دون محبة الله ، لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها ، فاعرض عن هؤلاء** » (ع ٢ــ٥) .

لاحظ **القديس يوحنا الذهبى الفم** فى تعليقه على العبارات السابقة أن كل خطية تنتج الخطية التالية لها ، إذ يقول : « تصدر محبة المال عن محبة الانسان لذاته ... وعن محبة المال تنبع محبة العظمة ، وعن حب العظمة الكبرياء ، وعن الكبرياء التجديف ، وعن التجديف التحدى وعدم الطاعة ... فمن يتكبر على الناس يتكبر على الله بسهوله . هكذا تتولد الخطايا وترتفع من أسفل إلى أعلى ، فمن يكون تقياً فى تعامله مع الناس يكون هكذا بالأكثر مع الله . ومن يكون وديعاً مع العبيد زملائه يكون بالأكثر وديعاً مع سيده . إذ يحتقر العبد زميله ينتهى به الأمر الى احتقار اللّه نفسه . إذن ليتنا لا نحتقر بعضنا البعض ، لأن هذه خبرة شريرة تعلمنا احتقار الله (٥٢) » . هكذا لاحظ القديس أن الخطايا بدأت موجهه ضد الناس وانتهت موجهة ضد الله نفسه .

يقول **القديس كبريانوس** أن ماتنبأ عنه الرسول قد تحقق : « لقد إقتربت نهاية العالم ، فظهرت العلامات من جهة الناس كما من جهة الازمنة ، فالأخطاء تخدع والخصم (ابليس) يهيج أكثر فأكثر ، والعنف يشتد ، والحسد يلتهب ، والطمع يعمى العيون ، والشر يغوى ، والكبرياء ينفخ ، والإنشقاق يتزايد مرارة ، والغضب يسرع برعونة (٥٣) » .

فى إختصار نذكر أهم الشرور التى أوردها الرسول هنا :

أ ـــ حب الذات : رأينا أنها أساس كل الشرور وجذرها ، حيث تغلق النفس أو القلب عن محبة الله والناس .

ب ـــ محبة المال أو الطمع : الإنسان المحب لذاته يطلب كل شيء لحسابها فيكون طمعاً يحب المال والكرامة على حساب إخوته ، بل وعلى حساب نفسه . يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن هذه الخطية تلتحم أيضا بعدم الشكر ، إذ يقول : كيف يمكن للطماع أن يشكر ؟ ! نحو من يشعر الطماع بالعرفان بالجميل ؟ لا أحد ، فإنه يحسب كل البشر أعداءه ، مشتهياً كل ما لهم . لو أنفقت عليه كل ما تملك لا يشعر بالجميل . إنه يغضب لأنك لا تملك أكثر لكى تعطيه أكثر . ولو أقمته سيداً على كل العالم لبقى جاحداً ويظن أنه لم ينل شيئاً . هذه الرغبة النهمة لا تشبع ، فهي رغبة مريضة ... من كان مصاباً بحمى لن يشعر بارتواء بل دائماً يطلب ان يشرب كظمآن ، هكذا من كان فى جنون نحو الغنى لا

يشعر باشباع رغبته مهما أُعطى له وانما يبقى فى حالة عدم اكتفاء وبالتالى لا يشكر (٥٤) » .

جـ ـــ **حب العظمة والكبرياء** : كما أن محبة الذات تولّد عطشا لا ينتهى نحو المال والغنى لا يمكن للعالم أن يرويه هكذا أيضاً ذات العلة قد تولّد عطشا لا المال بل إلى حب الكرامة الباطلة والمجد الزمنى ... الأمور التى تفقد الانسان سلامه الداخلى .

د ـــ **التجديف** : عطش الانسان الى الارضيات سواء على مستوى المال والغنى أو على مستوى حب الكرامة الزمنية يحرف البصيرة الداخلية عن الله نفسه ، فتحتقر النفس إلهها ولا تقدر أن تتلامس مع أعماله الخلاصية وعطاياه المجانية فتجدف عليه .

هـ ـــ **عدم طاعة الوالدين** : الإنسان الذى يستخف بالله يستخف بوالديه ، ففى تجديفه يود أن يتحرر من الأبوة الإلهية بكونها سلطة تحرمه الحرية ، وفى عصيانه للوالدين يحمل ذات الفكر تجاه الوالدية الطبيعية الدموية .

و ـــ **عدم الشكر أو الجحود** : رأيناه وضعاً طبيعياً فى حياة الانسان محب المال ، علامة شعوره بالفراغ الداخلى الذى لا يستطيع العالم أن يملأه مهما قدم له . على العكس فإن السمائيين إذ هم فى حالة شبع روحى تتسم حياتهم بالشكر الدائم خلال تسابيحهم غير المنقطعة .

ز ـــ **الدنس** : ان كان الفراغ الداخلى يخلق طبيعة جاحدة لا تقدر أن تشكر ، فان هذا الفراغ بعينه يلهب الانسان نحو الأمور الدنسة لكى يلتهى فيها ، حاسباً أنه يجد شبعه وسروره الجسدى والنفسى فى التصرفات الدنسة .

ط ـــ **عدم الحنو** : يُقصد به عدم وجود ود طبيعى . فالانسان السالك فى الدنس يطلب ما يشبع لذاته الخاصة ، وإن أظهر حنوا فليس عن حنو داخلى لراحة الآخرين وانما لإشباع ملذاته الخاصة . والمثل الواضح فى ذلك أمنون الذى مرض جداً بسبب محبته الدنسة لأخته ثامار ، ولما أخذ منها ما اشتهاه طردها ... وأيضا امرأة فوطيفار أحبت يوسف العفيف جسدياً ولما تحدث معها بلطف رافضاً الشر سلمته للسجن وعرضت حياته للخطر .

ظ ـــ **عدم الرضا** : يُقصد به نقض العهد الذى إرتبط به .

ع ـــ **الثلب** : يقصد به إتهام الآخرين زوراً . فلا يقف الأمر عند نقض العهد الذى إرتبط به بإرادته وانما يتهم غيره زوراً . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « الذين يشعرون بأنه ليس فيهم شيء صالح بينما هم يرتكبون خطايا ومعاصى كثيرة يجدون تعزيتهم فى تشويه شخصية الغير (٥٥) » .

غ ـــ **عدم النزاهة أو عدم العفة** : بمعنى عدم قدرة الإنسان على ضبط نفسه من جهة لسانه وشهواته وكل شيء آخر . يريد أن يعيش فى الملذات بلا ضابط. وكما يقول **العلامة أوريجانوس** : « من يعيش حسب الملذات يحب الطريق الواسع ، فينحرف عن طريق يسوع المسيح الضيق والكرب (مت ١٣:٧ ، ١٤) ، الطريق الذى ليس له أدنى منحنيات كما ليس له زوايا قط (مت ٥:٦) (٥٦) » .

ف ـــ **شراسة** : طبيعة الخطية تفقد الانسان انسانيته ليحيا شرساً يقاوم الآخرين بلا سبب حقيقى .

ق ـــ **غير محبين للصلاح** : اى يحتقرون الأمور الصالحة ويستهينون بها كأمور تافهة .

ك ـــ **الخيانة** : يقصد بها خيانة الانسان للعهد الإلهى ، ومن جانب آخر خيانته للعهد الطبيعى كأن يسلم الآب إبنه ، أو الإبن أباه (مت ٢١:١٠) أو خيانة الصداقة .

ل ـــ **الإقتحام** : يتدخلون بالشر فيما لا يعنيهم .

م ـــ **التصلف** أو الكبرياء دون ترو .

ن ـــ **محبة اللذات** : دون محبة الله ، لأن محبة الانسان لإشباع شهواته تقف حائلاً عن محبته لله .

أخيراً يختم الرسول حديثه عن الأشرار بقوله : « **لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها** » (ع ٥) ، وهذا هو أخطر أنواع الشر أن يحمل الانسان المظهر البرّاق المخادع أما الداخل فمملوء فساداً . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** ان هذا الرياء يمثل لصاً خطيراً يسلب المتدينين كل ما لديهم . فالخطايا السابقة واضحة يسهل على مرتكبيها أن يتوبوا عنها ويعترفون بها أما خطية الرياء فغالباً ما

يصعب على مرتكبها إدراكها ، إذ لا يخدع الأخرين فحسب وانما يخدع أيضاً نفسه ، فيرى فى نفسه أنه أفضل من الآخرين ، ولا يقبل التعليم أو النصح .

٢ ـــ المعلمون الفاسدون :

« إعرض عن هؤلاء ، فإنه من هؤلاء هم الذين يدخلون البيوت ويسبون نسيات محملات خطايا ، منساقات بشهوات مختلفة ، يتعلمن فى كل حين يستطعن ان يقبلن الى معرفة الحق أبداً . وكما قاوم ينيس ويمبريس موسى كذلك هؤلاء أيضاً يقاومون الحق . أناس فاسدة أذهانهم ومن جهة الإيمان مرفوضون ، لكنهم لا يتقدمون أكثر لأن حمقهم سيكون واضحاً للجميع كما كان حمق ذينك أيضاً » (ع ٦ ـــ٩) .

هناك الهراطقة المفسدون استطاعوا التسلل إلى البيوت للعمل خفية ، خاصة بين النساء الطائشات اللواتى يعتنقن كل ما هو جديد . هؤلاء النساء أعجبن بالأفطار الغنوسية ، وسلم بعضهن أنفسهن لبعض هؤلاء المعلمين الذين يستهينون بتقديس الجسد إذ يعتبرونه عنصر ظلمة لن يقوم فى يوم الرب ولا ينال مكافأة أو مجداً ، فتركوا له العنان يفعل ما يشاء . ويبدو أن بعض النساء فى طيشهن تركن رجالهن وإنسقن إلى هؤلاء المخادعين ، فانحرفن عن الطهارة كما انحرفن عن الحق . وقد دعى الرسول هؤلاء النساء « نسيات » أى سخيفات أو غير حكيمات . إنهن يقبلن الأفكار المضللة التى يبثها المعلمون الفاسدون عند تسللهم إلى بيوتهن ، وكأنهن يكررن ما قامت به أمهن الأولى حين تسللت إليها الحية القديمة إلى بيتها فى الفردوس ، ودخلت قلبها وفكرها لتبث فيها خداعها ، هكذا يتسلل الهراطقة إلى بيوت المؤمنين عن طريق النساء غير الحكيمات . هنا لا يلوم الرسول الهراطقة وحدهم كمضللين ومفسدين ، لكنه أيضاً يلوم النسوة الغبيات اللواتى يفتحن لهم بيوتهن بل وقلوبهن وافكارهن ، ويسلمن لهم أجسادهن خلال عدم سهرهن الروحى وعدم تدقيقهن . لقد وجد الهراطقة فيهن إستجابة داخلية قبل القبول الظاهرى ، وانفتحت القلوب والافكار المنحرفة لهم لأن هؤلاء النساء كن يستطبن للشر .

ضرب الرسول مثالاً للمعلمين المخادعين بما حدث فى أيام موسى النبى وهرون حيث قاومهما الساحران المخادعان ينيس ويمبريس . لقد عرف الرسول الإسمين ليس من الكتاب المقدس وإنما من التقليد اليهودى . هذان الساحران خدعا

المصريين إذ قاما بأعمال تبدو مشابهة لما قام به موسى النبى وهرون ، لكنهما فى حقيقتهما كانا رجلين فاسدى الذهن عديمى الايمان مملوئين حماقة ، أرادا بالمظهر المخادع أن يدخلا الناس إلى الحماقة .

كأن الرسول يؤكد لنا أنه فى كل عصر حيث يوجد العمل الالهى يقابله الخداع الشيطانى ؟ وُجد موسى وهرون من قبل الله، فأقام الشيطان مقابلهما الساحرين المخادعين . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « إن كان أحد يعترض على وجود هراطقة الآن فليذكر أن الأمر هكذا منذ البداية ، إذ كان الشيطان يقيم الضلال على الدوام فى مقابل الحق . فى البداية وعد الله بالصالحات ، وقدم أيضاً الشيطان وعده . أقام الله الفردوس ، وخدع الشيطان الانسان بقوله « تصيران كالله » (تك ٣ : ٥) ، فان كان قد عجز عن تقديم عمل قدم وعوداً هى بالأكثر كلمات ، وهذه هى طبيعة المخادعين .

بعد هذا جاء قايين وجاء معه هابيل ،

أبناء شيث ومعهم بنات الناس ،

حام ومعه يافث ،

إبراهيم (وفى أيامه وُجد) فرعون ،

يعقوب ومعه عيسو .

وهكذا جاء موسى (وهرون) وقاما الساحران .

الانبياء ومعهم الأنبياء الكذبة ،

الرسل والرسل الكذبة

المسيح وسيجىء ضد المسيح .

هذا ما كان قبلاً ، وما حدث إلى ذاك اليوم ... وفى إختصار لم يكن هناك وقت لم يوجد فيه الباطل ليقف ضد الحق . إذن لا تقلقوا [٥٧] » .

٣ ــ احتمال مضايقاتهم :

بعد أن تحدث الرسول عن وجود هراطقة فى كل عصر يقاومون الحق ، أوضح ضرورة احتمال مضايقاتهم بثبات ، إذ يقول : « **وأما أنت فقد تبعت تعليمى وسيرتى وقصدى وإيمانى وأناتى ومحبتى وصبرى ، و اضطهاداتى وآلامى مثل ما أصابنى فى أنطاكيه وايقونية ولسترة . أية اضطهادات إحتملت ، ومن الجميع انقذنى الرب** » (ع ١٠ ، ١١) .

هنا يقدم لنا مفهوماً حياً للتسليم أو التقليد الرسولى إنه ليس مجرد عقيدة ايمانية فكرية يتقبلها التلميذ عن معلمه ، أو الجيل عن الجيل السابق ، إنما فيما هو يحوى الايمان الحىّ بكل جوانبه انما يتسلم أيضا التعليم والسيرة المقدسة والمقاصد التى عاش لأجلها وطول الأناة والمحبة والصبر الأمور التى مارسها الرسول وتلمسها تلميذه فيه ، وأيضا اضطهاداته وآلامه . كأن ما تسلمه تيموثاوس الاسقف عن بولس الرسول إنما هو « الحياة فى المسيح » بكل دقائقها الظاهرة والخفية . وكما سبق واكدت فى اكثر من موضع ، خاصة فى كتاب « التقليد والارثوذكسية » إن التسليم الرسولى ليس أموراً خارجية أو مجموعة من العقائد والنظم الكنسية تحكم عبادة الكنيسة وسلوك الجماعة والعضو فيها ، انما هى « الحياة » كما عاشتها الكنيسة الأولى وسلمتها فى كل جوانبها . هنا يمكننا القول ان قبول الآلام واحتمالها هو جزء لا يتجزأ من التسليم الرسولى ، فقد تتلمذ تيموثاوس على يدى الرسول المتألم ، وها هو المعلم يذكر تلميذه أن يتمسك بما رآه وما لمسه لكى تكون له معه شركة فى الرب ، محتملاً الألم بطول أناة ، له ذات مقاصد الرسول ونياته وأناته ومحبته لمضطهديه . بمعنى آخر ليس مجرد رؤية القديس تيموثاوس لمعلمه بولس الرسول متألما يبعث فيه إحتمال الألم معه ، وانما تلمذته على يديه وادراكه اعماق معلمه الداخليه من مفاهيم ومقاصد ومشاعر وأحاسيس خفية فى المسيح يسوع ، أى إكتشاف سرّ القوة الداخلية فى الرسول أثناء ضيقه وآلامه .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على كلمات الرسول ، قائلاً : « كن قوياً فانك لم تكن حاضراً معى فحسب وانما تبعت تعليمى عن قرب ... بقوله « تبعت تعليمى » يشير إلى المناقشة (الايمانية) ، وبقوله « سيرتى » يشير إلى سلوكه ، وبقوله « قصدى » يشير إلى غيرته وثبات نفسه . وكأنه يقول له : إننى لا أنطق بهذه الأمور دون أن أنفذها ، لم اكن فيلسوفا (حكيماً) بالكلام وحده . وبقوله « إيمانى وصبرى » يقصد أنه ليس شيء من هذه الأمور قد أقلقه . يتحدث عن « محبته » التى لا توجد لدى هؤلاء (المفسدين) ، « وصبره » التى ليست لهم . لقد أظهر طول أناته على المراطقة وصبراً فى الضيقات [٥٨] » .

أما إشارته إلى الاضطهادات التى عانى منها الرسول فى انطاكية وايقونيه ولستره (ع ١١) لم تكن إلا مجرد أمثلة لما عانى منه الرسول وليس احصاءً لكل اتعابه ، فقد كانت نيته مجرد تقديم أمثله لتلميذه وليس إستعراضاً بقصد حب الكرامة . أما

خبرته فى هذه الآلام فلخصها فى العبارة الجميلة : « **ومن الجميع أنقذنى الرب** » (ع ١١) ، هذه هى الخلاصة التى يود أن يقدمها لتلميذه .

لم تكن هذه الضيقات النابعة عن المعلمين المفسدين أو بالحرى عن ابليس نفسه خاصة بالرسول بولس وحده ، وإنما « **جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى فى المسيح يسوع يضطهدون** » (ع ١٢) . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « لا يمكن لإنسان يسلك فى حياة الفضيلة ألا يتعرض لحزن أو تعب أو تجربة ، إذ كيف يهرب منها من يسلك الطريق الكرب الضيق ومن يسمع أنه فى العالم يكون له ضيق (يو ١٦:٣٣) ؟ إن كان أيوب قال فى زمانه أن حياة الانسان تجربة (أى ٧:١) كم بالأكثر يعانى من هم فى هذه الأيام ؟ ! [٥٩] » . كما يتحدث على لسان الرسول ، قائلاً : « لا تجعل أمراً كهذا يقلقك ان كان (المعلمون الفاسدون) فى وسع وأنت فى تجارب ، فإن هذا أمر طبيعى . ففى المثـال الخـاص بى تتعلم أنه يستحيل على إنسان ما وهو فى صراعه ضد الشرير لا يتعرض للضيق . لا يقدر أحد أن يكون فى معركة ويسلك فى ترف ، ولا أن يصارع وهو ينعم بالملذات . ليت أى مجاهد (روحى) لا يطلب الحياة السهلة المفرحة ! الحياة الحاضرة إنما تمثل حالة صراع وحرب وضيق وكرب وتجارب وهى مسرح للصراعات (الروحية) . الآن ليس وقت للراحة بل هو وقت تعب وجهاد [٦٠] » . وفى تعبير إختبارى يقول **القديس أغسطينوس** : « إن أردت ألا تكون لك متاعب فأنت لم تبدأ بعد أن تكون مسيحياً ... إن كنت لا تعانى من إضطهاد (ضيق) لأجل المسيح فاحذر لئلا تكون لم تبدأ بعد أن تعيش بالتقوى فى المسيح [٦١] » .

هذا النسبة للمجاهدين الروحيين ، إذ يتقبلون الضيق ــ أيا كان مصدره ــ من أجل المسيح ، أما عن الأشرار فيقول : « **ولكن الناس الأشرار المزورين سيتقدمون إلى أردأ مُضِلين ومضَلين** » (ع ١٣) . لم يتحدث الرسول عنهم إن كانوا فى ترف أو فى ضيق ، لأنهم حتى وان عاشوا فى ترف وتدليل لكن الضيق يلازمهم داخل نفوسهم ، وان فرحوا فإلى حين حيث لا يقدر العالم أن يشبع أعماقهم . لكن الرسول إهتم أن يعلن حالهم أنهم يتقدمون الى أردا ، يسقطون الأخرين فى الضلال ويسقطون هم معهم ، فينحرفون من ضلال الى ضلال ، وينحدرون من هوان إلى هوان ، متقدمين بالاكثر نحو الهاوية .

٤ ــ الاستناد على كلمة الله :

كأن الرسول يود أن يعلن سرّ قوة الانسان الروحى وسط الضيق ألا وهو التحصن فى كلمة اللّه . فان الكتاب المقدس هو سند الراعى ، كما هو سند الرعية ــ وسط المشقات ، ومعين ضد هجمات المخادعين ، إذ يقول الرسول : « **وأما أنت فاثبت على ما تعلمت وأيقنت عارفاً ممن تعلمت . وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص بالايمان الذى فى المسيح يسوع . كل الكتاب هو موحى به من اللّه ، نافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذى فى البر ، لكى يكون إنسان اللّه كاملاً متأهباً لكل عمل صالح** » (ع ١٤ــ١٧) .

وللقديس **يوحنا الذهبى الفم** تعليق جميل على هذه العبارات ، إذ يقول : « أعطى الكتاب المقدس بهذا الهدف أن يكون إنسان اللّه كاملاً به ، بدونه لن يمكن ان يكون كاملاً . يقول (الرسول) : لديك الكتب المقدسة عوضاً عنى . إن أردت أن تتعلم شيئاً فتعلمه منها . هذا كتبه لتيموثاوس المملوء من الروح ، فكم بالأكثر يكون بالنسبة لنا ؟ ! [٦٢] » .

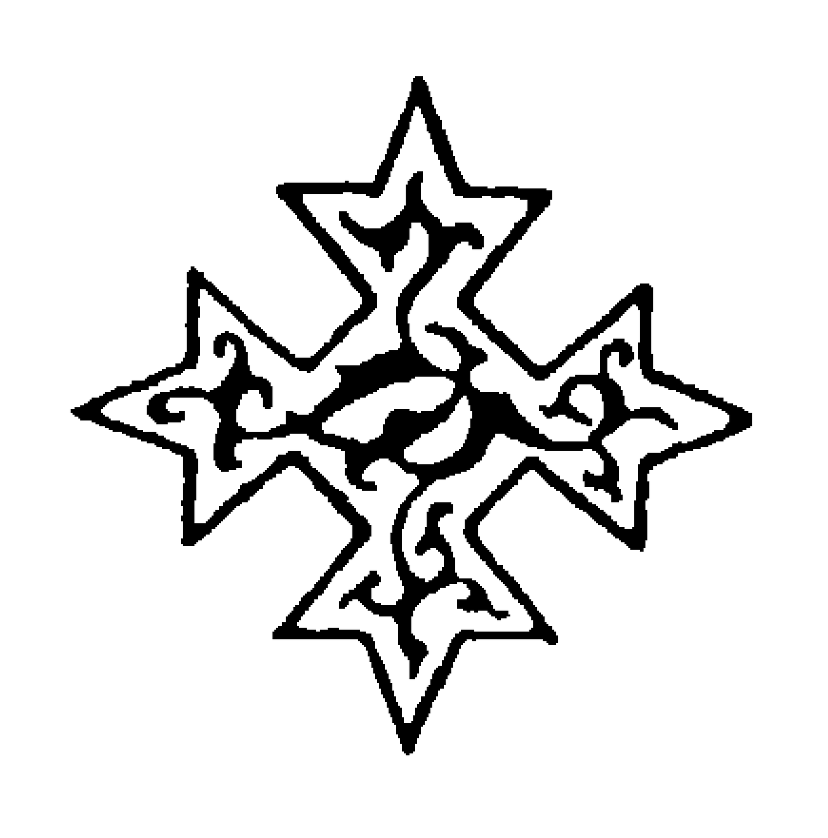
إن كان تيموثاوس قد رضع الايمان خلال جدته وأمه اللتين ربياه على الكتب المقدسة ، فانه وهو أسقف يليق به أن يثبت فيما تعلم فلا يكف عن التمتع بكلمة الله القادرة ان تثبته فى إيمانه ، وتدخل به من معرفة روحية الى معرفة ، ومن خبرة حياة الى خبرة جديدة ليحيا دائما فى نمو قادراً أن يتعلم ويعلم ، أن ينمو هو فى الرب وان يسند الآخرين فى حياتهم الروحية ... انه الكنز المخفى فى الحقل الذى يليق بالرعاة كما الرعية الا يكفوا عن اقتنائه فى داخلهم ، واللؤلوة كثيرة الثمن التى من أجلها نبيع كل شىء لكى نقتنيها .

ما أخطر على الكنيسة أن يظن الأسقف أو الكاهن أنه قد عرف الكثير فيتوقف عن التقوت بكلمة الله كل يوم ، وكما يقول **القديس كبريانوس** أسقف قرطاجنة : « يليق بالأسقف ليس فقط أن يعلم بل ويتعلم أيضاً ، فمن كان فى حالة نمو يومى متقدماً إلى ما هو أفضل مثل هذا يعلم أفضل [٦٣] » .

ويحدثنا القديس **اكليمنضس الإسكندرى** عن دور الكتاب المقدس كمصدر تعليم وتدريب فى حياة الإنسان ، راعياً كان أو من الشعب ، قائلاً : « حقا

مقدسة هى هذه الكتب التى تقدس وتؤله ... ليس إنسان هكذا يتأثر بنصائح أى قديس من القديسين كما يتأثر بكلمات الرب نفسه محب البشر . لأن هذا هو عمله ، بل عمله الوحيد ، خلاص الإنسان ، لهذا يحثهم على الخلاص ويفرح ، قائلاً : « ملكوت السموات داخلكم » ... فالإيمان يقودك فيه ، والخبرة تعلمك ، والكتاب المقدس يدريك (٦٤) » . كما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** « كلمة واحدة من الكتب الإلهية هى أكثر فاعلية من النار ! إنها تلين قساوة النفس ، وتهيئها لكل عمل صالح (٦٥) . « معرفة الكتب المقدسة تقوى الروح ، وتنقى الضمير وتنزع الشهوات الطاغية ، وتعمق الفضيلة ، وتتسامى بالعقل ، وتعطى قدرة لمواجهة المفاجآت غير المنتظرة ، وتحمى من ضربات الشيطان ، وتنقلنا إلى السماء عينها ، وتحرر الإنسان من الجسد ، وتهبه أجنحة للطيران (٦٦) » .

يقول القديس بولس لتلميذه ان كلمة الله نافعة للتعليم كما للتوبيخ ، للتقويم كما للتأديب ، فيقدمها بلا تنميق وبلا مجاملة ... يقدمها بروح الحق الذى يلاطف وينتهر ، يترفق ويحزم ... لهذا يحذرنا **القديس أغسطينوس** فى احدى عظاته من أن يتحول الكارز بالكلمة إلى عازف موسيقى يهتم ان يبهج سامعيه بألحانه العذبة ، مع أنه يلزم أن يقدم لهم فى الوقت المناسب الكلمات المرة لكى تعمل لتأديبهم فتتحول لهم فيما بعد الى عذوبة فى قلوبهم .



الأصحاح الرابع
وصايا وداعية

يختم الرسول رسالته بوصايا وداعية :

* * *

١ ـــ المثابرة على الكرازة :

إذ يختم الرسول حديثه مع إبنه الخاص يقدم له وصايا وداعية تتركز على وجه الخصوص فى الكرازة بالكلمة ، إذ يقول له : « **أنا أناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته اكرز بالكلمة** » (ع ١ ، ٢) . يوصيه بالكرازة بالكلمة فى حضرة الآب والإبن العتيد أن يدين الأحياء والأموات . فإذ يكتب الرسول فى أيامه الأخيرة منتظرا لحظات استشهاده يتطلع إلى ربنا يسوع المسيح بكونه الديان الذى يدين الأحياء أى الأبرار مكافأً اياهم بشركة أمجاده الأبدية ويدين الأموات أى الأشرار المصرين على عدم التوبة والحياة معه . أو لعله كان فى أيامه الأخيرة كما فى كل أيام كرازته منشغلاً بمجيء المسيح ليلتقى بالأحياء فى لحظات مجيئه والذين سبقوا فرقدوا ، إنه يلتقى بالكل ليدينهم . هذا المنظر هو الباعث الحقيقى للكرازة بالكلمة الإلهية ، فغاية خادم الكلمة هو انتشال النفوس من حالة الموت الداخلية للتمتع بالحياة فى الرب حتى تنعم بظهور السيد المسيح وشركة أمجاده .

يناشده بالديان القادم أن يكرز بغير توقف ، قائلاً له : « **اكرز بالكلمة ، اعكف على ذلك ، فى وقت مناسب وغير مناسب** » (ع ٢) ، فيليق بالراعى أن يتكلم فى المسيح (٢كو ٢:١٧) بلا توقف ، فقد يتوقف وقت ما فلا يجد

فرصة أخرى للنفس التى إلتقى معها فيخسرها إلى الأبد . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « ماذا يعنى : فى وقت مناسب وغير مناسب ؟ هذا يعنى أنه لا يوجد وقت محدد ، انما ليكن كل وقت هو وقتك ، فتكرز ليس فقط فى وقت السلام والأمان اثناء جلوسك فى الكنيسة وإنما حينما تكون فى خطر أو سجن أو فى سلاسل ، وأنت ذاهب أيضاً إلى الموت [٦٧] » .

يكمل الرسول : « **وبخ ، إنتهر ، عظ بكل أناة وتعليم** » (ع ٢) . ويعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة ، قائلاً : « يكون توبيخك مناسباً جداً عندما يكون ناجحاً ، وعندما تتزكى الحقيقة . إنه يقول : انتهر ، أى كن على مثال الأطباء الذين إذ يرون الجرح يشقونه ويضمدونه . فإن حذفت شيئاً من هذا يكون عملك بلا نفع . إن انتهرت الآخرين دون أن تقنعهم تكون كمن هو متهور ، ولا يحتمل أحد تصرفك هذا . لكن ان كنت تبرهن على انتهارك باقناع منطقى يقبلون منك الانتهار ... وان اقنعت انسان ووبخته لكن فى شدة دون ان تستخدم الكلمة الطيبة يضيع تعبك باطلاً [٦٨] » . كأن القديس يطلب فى الراعى عندما يوبخ أو ينتهر أن يقنع وفى نفس الوقت أن يبرز طول أناته ... بهذا يأتى انتهاره بالثمر المطلوب . فالراعى كالطبيب الذى يبرز للمريض حقيقة مرضه ويكشف له خطورته ما لم تجرى له العملية ، وإذ يقتنع المريض يقبل ضربات المشرط من يد الطبيب الذى وهو يجرح يلاطف ويضمد .

يقول **القديس أمبروسيوس** : « لا يليق بالراعى أن يكون قاسياً وعنيفاً ، ولا يكون متساهلاً جداً ، لئلا يكون فى الحالة الأولى كمن صاحب سلطان جائر ، وفى الحالة الثانية كمن يهين بلا سبب وظيفته التى نالها [٦٩] » .

ويقول **القديس يوحنا الدرجى** : « من يرعى الخراف لا ينبغى أن يكون أسداً ولا نعجة [٧٠] » . ويقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** معلقاً على كلمات الرسول : « بكل اناة وتعليم » : « لأن من يوبخ يلزمه أن يكون طويل الأناة ، فلا يصدق بسرعة كل كلمة تقال ، ولأن التوبيخ يحتاج إلى تعزية حتى يمكن قبوله . لماذا أضاف « وتعليم » إلى « كل أناة » ؟ إنه لا يوبخ كمن فى غضب أو كراهية ولا كمن يسب أو من أمسك عدواً ، فان هذه الأمور بعيدة عنك تماماً ، وإنما كشخص محب ، يتعاطف معه ويتألم معه فى حزنه وينصهر معه فى مشقاته ! [٧١] » .

يكمل الرسول : « **لأنه سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح بل حسب شهواتهم الخاصة يجمعون لهم معلمين مستحكة مسامعهم ، فيصرفون مسامعهم عن الحق وينحرفون إلى الخرافات** » (ع ٣ ، ٤) . كأنه يقول يلزم الكرازة بروح القوة فى كل حين ، فى وقت مناسب وغير مناسب ، فى حزم لكن مع طول أناة ولطف ... لماذا ؟ لأنه يأتى وقت فيه تتصلف القلوب وتصير العنق متشامخة وعنيدة ، فلا يحتمل الناس الاستماع للتعليم الصحيح . وكأن الرسول ينصحه أن يسرع بالعمل الروحى ، لأن كل تأخير فى الكرازة إنما يعنى دخول الناس الى حالة أكثر تصلفاً . كأن الزمن ليس فى صالحنا إن أهملنا الخدمة ! فالقلب المستعد الآن لقبول الكلمة قد يرفضها غداً ما لم نخدمه اليوم ! اليوم قد يقبل الناس المعلمين الحقيقيين ، لكن إن أهمل المعلمون فى رعايتهم يسقط الناس فى شهوات كثيرة ، وعندئذ يطلبون لأنفسهم معلمين حسب أهوائهم . يطلبون ويجدون جماهير من المعلمين المنحرفين عن الحق ، مملوئين فساداً ، تستريح لهم قلوبهم .

لم يقصد الرسول بهذا تحطيم تلميذه بروح اليأس وإنما تشجيعه على السرعة فى العمل الروحى وتقديم كلمة الحق حتى لا تهلك هذه النفوس ، لهذا يكمل قائلاً : « **وأما أنت فاصح فى كل شىء ، إحتمل المشقات ، إعمل عمل المبشر ، تمم خدمتك** » (ع ٥) .

سأله أن يكون صاحياً متيقظاً حتى لا تدخل الذئاب بين الحملان فتفترسهم . حقاً فى السهر على الرعاية يتحمل الراعى الكثير من المشقات ، لكن تهون هذه كلها من أجل خلاص الخراف العاقلة . هذا هو عمل المبشر أن يحمل الصليب مع مخلصه المصلوب لأجل الدخول بكل نفس إلى رعية السيد المسيح ربنا . بهذا يتمم خدمته ويكمل رسالته .

يحدثنا **القديس غريغوريوس النزينزى** عن المشقات التى احتملها الرسول بولس لتتميم رسالته فيقول : « لكى نعرف ذلك ، نترك بولس يحدثنا بنفسه . لا أقول شيئاً عن أتعابه وسهره وتحمله الجوع والعطش ، فى برد وعرى ، أعداء من الخارج ومخاصمون فى الداخل (٢كو ١١:٢٣ الخ) . سأعبر عن الاضطهادات التى تحملها والمجامع التى عقدت ضده والسجون والقيود والمفترين عليه ، ومحاكماته ، وموته يومياً وفى كل ساعة ، ووضعه فى زنبيل هارباً خلف السور ، ورجمه

بالحجارة ، وضربه بالعصى ، وأسفاره ، والمخاطر التى صادفها فى البر والبحر ، وغرقه فى العمق وانكسار السفينة به ، مخاطر فى أنهار ، مخاطر من لصوص ، مخاطر من حكام ، مخاطر من إخوة كذبة ، معيشته بعمل يديه ، التبشير بلا نفقة (١كو ٤:١٢ ؛ ٩:٨) ، كونه قد صار منظراً للملائكة والناس (١كو ٤:٩) ، وقوفه مناضلاً بين الناس والله لكى يوحدهم معه (بنعمة المسيح) فيصيروا شعبه الخاص (تى ٢:٤) ... من يقدر أن يذكر كل هذه الأمور بالتفصيل ؟ ! الآلام اليومية والاهتمام الفردى ، والعناية بكل كنيسة ، والمودة الجامعة والحب الاخوى ؟ ! هل أحد يعثر وبولس لأجله لا يضعف ؟ أو أحد يشتكى وبولس لا يحترق ؟ ... لقد حارب لأجل الكل ، صلى من أجل الكل ، وتعطف على الكل ، سواء الذين بلا ناموس أو تحت الناموس ... كان مستعداً هو أيضاً وراء المسيح ان يحتمل كل شىء من أجل خلاص الأشرار [٧٢] » .

٢ ــ توقع الرسول رحيله :

إذ يشجع الرسول تلميذه على الجهاد بقوة الروح من أجل الكرازة بالحق ، متمماً خدمته حتى النهاية ، قدم نفسه مثالاً ، إذ جاهد حتى النفس الأخير . حقاً ما أروع كلماته : « **فإنى أنا الآن أسكب سكيباً ، ووقت إنحلالى قد حضر** » (ع ٦) إذ أدرك الرسول أن حياته على الأرض تبذل للنهاية بقبوله الاستشهاد يقول : « الآن أسكب سكيباً » . كأن الرسول قد عاد بذاكرته إلى أب الأسباط كلها يعقوب ، وقد أقام عموداً وسكب عليه سكيباً ودهنه بالزيت (تك ١٤:٣٥) ، غالباً ما كان هذا السكيب من الخمر ، قدمه على العمود كتدشين لأول بيت يقام لله فى تاريخ الخلاص ، إشارة إلى عطية فرح الروح القدس التى تملأ بيت الله أى شعبه . كأن الرسول يرى وسط آلامه داخل السجن منطلقاً نحو ساحة الاستشهاد ان روح الفرح الإلهى يملأ حياة الكنيسة خلال الام الرسول . فلا فرح للكنيسة بدون ألم ، ولا مجد لها خارج المشقات . لقد رأى القديس بطرس المؤمنين يدخلون تحت الآلام ويقبلون التعيير من أجل المسيح واذا بروح المجد والله نفسه يحل عليهم ، ليتقبل الله الألم فى داخلهم تقدمة حب منهم واهباً فرحه الإلهى ومجده الداخلى فيهم ، إذ يقول : « كما إشتركتم فى آلام لمسيح إفرحوا لكى تفرحوا فى استعلان مجده أيضاً مبتهجين ، إن عيرتم باسم لمسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم » (١بط ٤:١٣ ، ١٤) .

لقد حسب آلام المؤمنين شركة فى آلام السيد المسيح ... والعجيب أن الرسول يأمرهم : « افرحوا » كعربون لنوالهم الفرح الأبدى عند استعلان مجده . ما أمر به الرسول لم يكن وصية بقدر ما هى عطية ، فإنه يأمرهم لينالوا العطية ويدركوها ويمارسوها ، أما علة هذه العطية فهو « روح المجد والله يحل عليكم » . يفرح الله بحب المؤمنين العملى والمعلن خلال الالام والمشقات من أجله ، فيعلن ذاته سرّ مجدهم وفرحهم الذى لا ينطق به .

ولعل الرسول وهو يتحدث عن نفسه كسكيب يُسكب يذكر ما ألزمت به الشريعة من تقديم خروفين كل يوم ، الواحد فى الصباح والآخر فى العشية ، أثناء تقديمه يُصنع له سكيب من الخمر (حز ٢٩:٤٠ ، ٤١) . وكأن ذبيحة الصليب قد ارتبطت بفرح الروح القدس الذى ينسكب على الكنيسة خلال الحمل الإلهى الذبيح . هذه هى خبرتنا المستمرة ، ففى ليتورجيا الأفخارستيا إذ تقدم الكنيسة للآب بالروح القدس تقدمة الإبن الوحيد ، جسده المبذول ، يسكب عليها وفيها فرحه الإلهى بحلول روحه القدوس الفائق ! هذا ما رفع الكنيسة إلى التغنى بليتورجيا الأفخارستيا كتسبحة فرح فائق ، هى من صنع الروح القدس واهب الفرح الحقيقى !

أقول فى إختصار أن الرسول بولس وهو يكتب لتلميذه المتألم بسبب مضايقات نيرون الظالم أراد أن يعلن له عن إستشهاده فى أروع صورة لكى يسنده ويشجعه لتكملة جهاده فى الكرازة حتى النهاية . إنه يعلن بأن حياته كلها تُقدم — فى المسيح يسوع — ذبيحة حب لله ، وان السيد المسيح نفسه الساكن فيه يحل بمجده عليه فى لحظات الاستشهاد ليتقبل الألم واهباً اياه روح المجد والقوة والفرح ، لا بل نقول أن بسبب آلامه يهب الكنيسة كلها فرحاً وتعزية داخلية ، فيصير الرسول نفسه كسكيب خمر مفرح يُسكب على بقية جسد الكنيسة المتألم ! ما أبدعها لحظات حين يتقبل الرب آلام الراعى بكونها آلامه ، واهباً لاولاده الروحيين تعزيه وفرحاً مجيداً ... الأمر الذى جعل من الاستشهاد للآباء أعياداً تفرح بها الكنيسة وتسبح متهللة .

فى اختصار يمكننا القول أن ما تتقبله النفس بل ومن هم حولها من تعزيات ونعم خلال لحظات الألم لا يمكن اقتنائها خلال اصوام وصلوات ومطانيات وتعبدات لسنوات طويلة . الألم فى المسيح يسوع ينبوع فرح للكنيسة لا ينضب !

يقول الرسول : « **فإنى أنا الآن أسكب سكيباً ، ووقت إنحلالى قد حضر** » (ع ٦) . انه كعصفور فى قفص ، حتى وإن كان ذهبياً ـــ يود أن ينطلق !

أما سرّ فرحه فهو إدراكه ان الرب قد انجح رسالته وقبل جهاده الحسن القانونى ، إذ يقول : « **قد جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعى ، حفظت الإيمان ، وأخيراً قد وضُع لى إكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الديان العادل ، وليس لى فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً** » (ع ٧ ، ٨) .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على هذه العبارة ، قائلاً : « غالباً إذ أضع الرسول بين يدى وأتأمل هذه العبارة أشعر أننى قد فقدت الفهم ... بأى هدف كان الرسول يتحدث هكذا ؟ لقد كان مشتاقاً أن يعزى تلميذه وينزع عنه كآبته ، موصياً إياه أن يبتهج لأنه ذاهب إلى حيث يوجد إكليله بعد أن أنهى كل عمله ونال نهاية مجيدة . إنه يقول له : يليق بك أن تفرح لا أن تحزن ؛ لماذا ؟ لأننى « **جاهدت الجهاد الحسن** » . إنه كأب يجلس بجوار إبنه الذى يندب حال يتمه ليعزيه ، قائلاً له : لا تبك فاننا نعيش حياة حسنة وقد بلغت الشيخوخة ، وها أنا أتركك . حياتنا هنا بلا عيب ، وها نحن نرحل فى مجد ، يلزمك بالحرى أن تُعجب بأعمالنا ، فقد صار ملكنا كأنه مدين لنا . أو كأنه يقول : لقد رفعنا علامات النصرة ، هزمنا الأعداء ! يقول هذا ليس إفتخاراً بنفسه ! وانما ليرفع من نفسية إبنه المغموم ، ويشجعه على إحتمال ما يحدث (رحيله) بثبات ، باعثاً فيه الرجاء الصالح ، بكونه لا يفكر فى الرحيل كأمر محزن . إن كان مجرد الإنفصال يحسب أمراً محزناً ، بل ومحزن بحق ، اذ يقول بولس نفسه : « قد فقدناكم زمان ساعة بالوجه لا بالقلب » (١تس ٢:١٧) ؛ وإن كان قد شعر بهذا عندما انفصل هو عن تلميذه ، فماذا بالحرى تكون مشاعر تيموثاوس نفسه ؟ إن كان مجرد ترك الرسول له وهو بعد حىّ جعله يبكى إذ يقول بولس : « ذاكراً دموعك لكى أمتلىء فرحاً » (٢تى ١:٤) ، فماذا يكون الأمر عند موته ؟ إذن كتب الرسول هذا ليعزيه ... يقول : « **جاهدت الجهاد الحسن** » ... هل هذا الجهاد حسن وقد وجد فيه سجن وقيود وموت ؟ نعم ، لأنه جهاد من أجل المسيح خلاله ننعم بأكاليل عظيمة ! ... ليس جهاد أسمى من هذا ! إكليله بلا نهاية ؛ اكليله ليس من أوراق الزيتون ، والحكم فيه ليس بشرياً ، والمشاهدون ليسوا بشراً ، انما سيكون المسرح مزدحماً بالملائكة ! هناك (فى حلقات المصارعة) يجاهد الناس أياماً كثيرة

ويحتملون المصاعب لأجل ساعة ينالون فيها الإكليل ، وعندئذ تنتهى كل بهجة فى الحال . أما هنا فالحال مختلف تماماً : الإكليل أبدى له بهاؤه ومجده وكرامته ، لهذا يجب أن نفرح . ها أنا أدخل راحتى تاركاً السباق . لقد سبق ان سمعت منى أنه خير لى أن أنطلق وأكون مع المسيح . لقد « **أكملت السعى** » ؛ فانه يليق بنا أن نجاهد ونجرى ، نجاهد محتملين الآلام بثبات ، ونجرى ليس باطلاً وإنما لأجل غايه صالحة . حقا إنه جهاد حسن ، ليس فقط يبهج ناظره وإنما يفيده ، فلا ينتهى السباق إلى لا شيء . إنه ليس مجرد مشهد لابراز القوة والمنافسة وانما هو رفع إلى السماء ! كيف أكمل السعى ؟ ... لقد عبر الارض كطائر ، بل بالحرى أسرع من طائر ، لأن الطائر مجرد يحلق فوقها ، لكن (بولس) إذ كان له جناح الروح وجد طريقاً خلال العوائق التى بلا عدد ، والمخاطر والميتات والكوارث . كان أكثر خفة من الطائر ، فلو كان مجرد طائر لسقط ... لكنه إذ هو محمول بالروح إنطلق يرفرف فوق كل الفخاخ كطائر ذى جناح من نار ! يقول : « **حفظت الايمان** » ، فقد وُجدت أمور كثيرة كانت تود سرقة الإيمان ... من تهديدات وميتات ومخاطر أخرى بلا حصر ، لكنه وقف ضد هذا كله بثبات . كيف ؟ بكونه صاحياً ساهراً ... كان هذا كافياً لتعزية تلميذه ، لكنه أضاف المكافأت ؛ ما هى ؟ « **وأخيراً وضع لى إكليل البر** » . مرة أخرى يدعو الفضيلة هنا بمعنى عام : « البر » . لا تحزن لأنى راحل . فإننى سأُقلد بذلك الإكليل الذى يضعه المسيح على رأسى ، لو كنت سأستمر هنا لكان من حقك أن تحزن وتخاف علىّ لئلا أسقط وأهلك . يقول : « **الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الديان العادل ، وليس لى فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً** » (ع ٨) . بهذا أيضاً رفع ذهنه ، فإن كان الله يهب الاكليل للجميع فبالأولى يهبه لتيموثاوس [٧٣] » .

إن انتظار الرسول لرحيله أو مجيء السيد ، أى التلاقى مع ربنا يسوع ليس مجرد اشتياقات داخله أو كلمات تنطق بها لكنها حياة ايمانية مملوءه جهاداً وأتعابا بفرح . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « ليته لا يوجد فينا ما هو غير مستحق لمجيئه ، عندئذ يجعل له مسكناً فينا [٧٤] » . بمعنى ان انتظار ظهوره انما يتحقق بتهيئة نفوسنا الداخلية بعمل روحه القدوس لنكون بحق العروس اللائقة بعريسها الأبدى ، أو الابناء المشابهين لأبيهم ... يرونه فينجذبون إليه ويوجد معه وفيه إلى الأبد .

كلمات الرسول بولس فى أيامه الأخيرة لم تكن لتعزية تيموثاوس وحده وانما لتعزية الكنيسة كلها فى جهادها الروحى سواء فى أيام الضيق (الإستشهاد) أو السلام . يقول **القديس كبريانوس** : « ليتهم يتقبلون الأكاليل، إما بيضاء بسبب الجهاد أو أرجوانية بسبب الآلام ، ففى معسكر السماء توجد زهور خاصة بالسلام وأخرى خاصة بالصراع ، بها يتكلل جنود المسيح للمجد [٧٥] » .

وقد راعى إنتباه **القديس أمبروسيوس** فى حديثه عن واجبات الكهنة أن الرسول يقول عصر نوال الاكليل انه « فى ذلك اليوم » يهبه له وليس هنا ؛ « هنا حارب فى أتعاب ومخاطر وانكسار السفينة به كمصارع جاهد عالماً انه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت السموات [٧٦] » .

لقد استخدم أتباع بيلاجيوس كلمات الرسول بولس هذه لتأكيد فكرهم أن المكافأة هى ثمر جهادنا الذاتى ، متجاهلين عمل نعمة الله الغنية ، وقد ردّ عليهم **القديس أغسطينوس** ، قائلاً : « لنتأمل استحقاقات الرسول بولس عينها ، الذى قال أن الديان العادل سيجازيه بإكليل البر الذى قال أن الديان العادل سيجازيه بإكليل البر ، لنرى ما إذا كانت استحقاقاته حقيقة نابعة عنه ، أقصد أنه حصل عليها بمجهوده الذاتى ، أم هى عطايا إلهية ! إنه يقول : « قد جاهدت الجهاد الحسن ، اكملت السعى ، حفظت الايمان » (٢تى ٤:٧) . **أولاً** : هذه الأعمال الصالحة لا تُحسب شيئاً ما لم يسبقها أفكار صالحة . لاحظ ماذا يقول عن هذه الأفكار ؟ « ليس أننا كفاة من أنفسنا أن نفتكر شيئاً كأنه من أنفسنا بل كفايتنا من الله » (٢كو ٣:٥) . **ثانياً** : لنتطلع إلى كل استحقاق على حدة :

أ ــ جاهدت (حاربت) الجهاد الحسن : أريد أن أعرف بأية قوة كان يحارب ؟ هل بقوة ذاتية ، أم بقوة أُعطيت له من فوق ؟ يستحيل أن نظن أن معلماً عظيماً مثل الرسول كان جاهلاً شريعة اللّه التى تعلن فى سفر التثنية : « لئلا تقول فى قلبك قوتى وقدرة يدى صنعت لى هذه الثروة بل أذكر الرب إلهك أنه هو الذى يعطيك القوة » (تث ٨:١٧) . واى نفع للمحاربة الحسنة ما لم يتبعها نصرة ؟ ومن يهب النصرة إلا الذى يقول عنه الرسول نفسه : « شكراً للّه الذى يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح » (١كو ١٥:٥٧) ؟ ! وفى عبارة أخرى إقتبسها من المزمور يقول : « لأننا من أجلك نمات اليوم كله ، قد حُسبنا مثل غنم للذبح » (مز ٤٤:٢٢) ، مكملاً القول : « ولكننا فى هذه جميعها يعظم

انتصارنا بالذى أحبنا » ، أى أنه ليس بأنفسنا نحقق الغلبة بل بذاك الذى أحبنا .

ب ــ أكملت السعى : كيف يقول هذا ، وهو يعلن فى عبارة أخرى : « فاذاً ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل للّه الذى يرحم » (رو ٩ : ١٦) . هذه العبارة لا يمكن إستبدالها فنقول أنه ليس من اللّه الذى يظهر الرحمة بل الإنسان هو الذى يشاء ويسعى . فمن يتجاسر ويفسر الأمر هكذا يكون من الواضح أنه مناقض للرسول .

جـ ــ حفظت الايمان . الذى يقول هذا يعلن فى عبارة أخرى : « أعطى رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً » (١كو ٧ : ٢٥) . إنه لا يقول : « كمن رحمه الرب لأننى كنت أمينا » ، بل « رحمه الرب أن يكون أمينا » ، مظهراً انه حتى الايمان نفسه لا يمكن نواله بدون رحمة الله ، انه عطية الله ! هذا يؤكده لنا عندما يقول : « لأنكم بالنعمة أنتم مخلصون ، بالإيمان وذلك ليس منكم ، هو عطية الله » (أف ٢ : ٨) . ربما تقولون : « نحن تقبلنا النعمة لأننا آمنا » ، ناسبين الإيمان إلى أنفسهم والنعمة للّه ، لذلك فإن الرسول بعد قوله : « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان » ، أضاف : « وذلك ليس منكم ، هو عطية اللّه » . ولئلا يقولوا انهم إستحقوا هذه العطية العظيمة بأعمالهم (الذاتية) أضاف للحال : « ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد ، لأننا نحن عمله » (أف ٢ : ٩) . لا بمعنى أنه يدحض الأعمال الصالحة أو يسلبها قيمتها ، إذ يقول أن اللّه يجازى كل واحد حسب أعماله (رو ٢ : ٦) ، إنما لأن الاعمال هى ثمر الإيمان وليس الإيمان ثمر الأعمال ، لذلك فأعمال البر التى لنا هى من اللّه ومنه نصل الى الإيمان ذاته الذى قيل عنه « البار بالايمان يحيا » (٧٧) » .

٣ ــ أخباره الختامية :

قدم الرسول لتلميذه الحبيب بعضاً من أخباره :

أ ــ **استدعاء تلميذه** : أدرك الرسول أن وقت رحيله قد إقترب فارسل يستدعيه ، قائلاً له : « **بادر أن تجىء إلىّ سريعاً** » (ع ٩) ، وإن كان للأسف لم يستطع أن يحضر قبل إستشهاده . وقد كان الرسول لطيفاً وحكيماً فى استدعائه ، إذ لم يقل له « لكى أراك قبل رحيلى » ، لئلا إذا لم يتحقق الأمر يحزن القديس تيموثاوس ويكتئب ، وانما أعلن له ان حاجته إليه فى هذه اللحظات إنما بسبب ترك الكثيرين له .

ب ــ **ترك البعض له** : « **لأن ديماس قد تركنى إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكى** » (ع ١٠) . إذ تركه ديماس طلب تيموثاوس لكى يخدمه عوضا عنه . ولكن لماذا تركه ديماس ؟ يجيب **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « لقد أحب الطريق السهل والآمن ، بعيداً عن المخاطر . حقاً لقد إختار أن يعيش فى بيته فى ترف عن أن يعانى معى المصاعب ، ويشاركنى المخاطر الحاضرة . لقد لامه لا لأجل اللوم فى ذاته وإنما لكى يثبتنا نحن فلا نسلك بتدليل مبتعدين عن الأتعاب والمخاطر ، فهذا يحسب حباً للعالم الحاضر ، ومن ناحية أخرى أراد بهذا أن يجتذب تلميذه إليه (٧٨) » .

يكمل الرسول : « **وكريسكبس إلى غلاطية وتيطس إلى دلماطية ، لوقا وحده معى** » (ع ١٠ ، ١١) . هذان لم يتركاه من أجل محبة العالم وإنما لأجل ضرورة الخدمة .

جـ ــ **طلب مرقس الرسول** : « **خذ مرقس واحضره معك لأنه نافع لى للخدمة** » (ع ١١) . فى رحلته التبشيرية الثانية رفض الرسول أن يأخذ مرقس معه لأنه سبق وتركه فى رحلته الأولى عند بمفيلية ، ربما بسبب حمى أصابته هناك . وبسبب رفض الرسول أخذ مرقس معه إنفصل عنه برنابا الذى انطلق مع مرقس إلى الخدمة فى طريق آخر ، إلى جزيرة كريت حيث انتقل برنابا هناك ، اما مرقس الرسول فجال فى افريقيا يخدم ، وكانت الاسكندرية مركز خدمته . هنا الرسول يشهد للقديس مرقس أنه نافع له فى الخدمة . ويعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على كلمات الرسول هذه ، قائلاً : « إنه لم يطلب ذلك لأجل راحته الخاصة وإنما لأجل خدمة الإنجيل . فإنه وإن كان سجيناً لكنه لا يتوقف عن الكرازه . لذات السبب أيضاً أرسل يطلب تيموثاوس ليس لأجل نفسه وانما لأجل الإنجيل ، فلا يكون موته مجالاً لحدوث اضطراب بين المؤمنين ، إنما وجود بعضاً من تلاميذه ينهى ضيقهم (٧٩) » .

د ــ **طلب الرداء** : « **الرداء الذى تركته فى ترواس عند كاربس إحضره متى جئت والكتب أيضاً ولا سيما الرقوق** » (ع ١٣) . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : « الكلمة المترجمة هنا « رداء » ربما تعنى ثوباً أو كما يقول البعض تعنى حقيبة، تحوى الكتب (٨٠) » . لقد طلب رادءه ربما لكى لا يضطر فى أيامه الأخيرة أن يستعير رداء أحد ، إذ لا يريد أن يثقل على أحد . أما طلبه الكتب فربما

لكى يسلمها للمؤمنين فى روما الذين يعاصرون استشهاده فتكون سبب تعزية لهم ... حقا انه حتى فى اللحظات الأخيرة لا يهتم بما لنفسه بل ما هو لراحة الغير .

هـ ــ **شر اسكندر النحاس** : « **اسكندر النحاس أظهر لى شروراً كثيره ، ليجازه الرب حسب أعماله ، فاحتفظ منه أنت أيضا ، لأنه قاوم أقوالنا جداً** » (ع ١٤ ، ١٥) . لقد كتب عن اسكندر النحاس لا ليدينه ويتهمه ، ولا ليطلب الإنتقام منه ، وإنما أراد أن يعد تلميذه للصراعات حتى النهاية ، لكى يحتملها بثبات . لقد صنع اسكندر ببولس الرسول شروراً كثيرة ، وها هو يخشى على تلميذه منه . أما قوله « ليجازه الرب حسب أعماله » فلا تحمل شهوة انتقام خاصة وان الرسول يدرك أن يوم رحيله قد قرب جداً ، انما يهيىء نفس تلميذه الذى سيتعرض لمضايقات اسكندر وأمثاله لكى لا يضطرب ، تاركاً الأمر فى يدى الله الذى لا يترك الاشرار بلا تأديب أو عقوبة .

يظهر حنو الرسول حتى نحو مضطهده الشرير ، فإنه لم يطلب من تلميذه أن ينتقم منه أو يعاقبه أو يطرده ، لكن كل ما فعله حذره منه حتى لا يفسد خدمته لأنه مقاوم للكلمة .

و ــ **ترك الكل له فى احتجاجه الأول** : « **فى احتجاجى الأول لم يحضر أحد معى بل الجميع تركونى . لا يُحسب عليهم . ولكن الرب وقف معى وقوانى لكى تتم بى الكرازة ويسمع جميع الأمم ، فانقذت من فم الأسد ، وسينقذنى الرب من كل عمل ردىء ويخلصنى لملكوته ، الذى له المجد إلى دهر الدهور . آمين** » (ع ١٦ــ١٨) .

إذ وقف أمام نيرون فى دفاعه الأول لم يقف بجواره أحد ، حتى الأصدقاء ، وهو أمر صعب على النفس ... على أى الأحوال طلب الرسول لأصدقائه من الرب السماح من جهة إهمالهم إياه فى اللحظات العصيبة . والعجيب انه إذ فشلت كل الأذرع البشرية ، وأدرك الرسول أن الجميع قد تركوه ، ليس من يسند ولا من يعين تجلى الرب فى هذه اللحظات : « الرب وقف معى وقوانى » . حين تتحطم كل الأذرع البشرية لمساندة المؤمن فى ضيقته تبقى ذراع الرب القوية ممتدة ، قادرة على الإنقاذ من فم الأسد ، وتتميم الشهادة له بنجاح .

يعلق **القديس يوحنا الذهبى الفم** على عبارات الرسول هكذا : « إن كان

الناس قد هجروه ، لكن الله لم يسمح له بضرر بل قواه ، أى وهبه الجرأة على الكلام ، ولم يسمح له أن يغرق » .

« لاحظ عظم إتضاعه ! فانه لم يقل أن اللّه قواه لاستحقاقه هذه العطية ، إنما من أجل الكرازه التى أوتمن عليها لكى تتم » .

« انظر كيف اقترب من الموت ! لقد سقط بين أنياب الأسد ذاته ، فقد دعى نيرون أسداً بسبب شراسته وعنف حكومته ... » .

يقول : « أُنقذت من فم الأسد وسينقذنى الرب من كل عمل ردىء » . لم يقل سينقذنى من فم الأسد ، بل سينقذنى من كل عمل ردىء ، فإن كان الرب قد أنقذه من الخطر (نيرون) فسينقذه من الخطية ، فلا يسمح له بالرحيل وهو مدان (٨١) » . كأن اللّه أنقذه من نيرون من اجل الكرازة والشهادة له حتى يتمم رسالته ، أما وقد تحققت رسالته لا يعود يطلب الخلاص من يد نيرون بل من حكم الخطية بانطلاقه من العالم محفوظاً من الدينونة . لقد خلص من دينونة نيرون المؤقته ، لكن ما هو أعظم ان الله يخلصه من الدينونة الرهيبة حيث يدخل به إلى شركة أمجاده الأبدية ، قائلاً : « يخلصنى لملكوته » .

ز ــ **اهداء السلام لأحبائه : « سلم على فرسكلا (بريسكلا) وأكيلا وبيت أنيسيفورس »** (ع ١٩) . وقد سبق لنا الحديث عن انيسيفورس الذى أراح الرسول مراراً كثيرة أثناء سجنه (١:١٦) ، أما بريسكلا وزوجها أكيلا فقد إرتبطا بالرسول بدالة محبة قوية ، إذ آمنا على يديه ، وكانا خيامين يقضيان بعضاً من الوقت معه يعملان معه فى صنع الخيام . لقد عملا معه فى خدمته ، إذ يقول الرسول : « سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معى فى المسيح يسوع ، اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتى ، اللذين لست أنا وحدى أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم » (رو ١٦:٣ ، ٤) . والعجيب أن الرسول ــ وهو فى القرن الأول الميلادى ــ يذكر إسم الزوجة قبل الزوج فى الرسالتين ، هنا والرسالة إلى اهل روما ، فى وقت لم يكن للمرأة ــ حسب القانون الرومانى ــ أية حقوق . لقد ذكرها الرسول أولا ليؤكد انه فى الايمان لا تحيز لجنس على آخر إلا حسبما يقدم الانسان من ايمان حىّ عامل . لقد كانت بريسكلا فى عينى الرسول اكثر غيرة وإيماناً من رجلها .

س ـــ « **أراستس بقى فى كورنثوس ، وأما تروفيموس فتركته فى ميليتس مريضاً** » (ع ٢٠) . بهذا يوضح الرسول إحتياجه إلى تلميذه ، فقد بقى أراستس فى كورنثوس ، بينما ترك تروفيموس مريضا فى ميليتس . يتساءل **القديس يوحنا الذهبى الفم** : لماذا لم يشفى الرسول بولس تروفيموس ؟ إن كان الرسول قد وُهب عطية شفاء المرضى ، لكن الله سمح أن يوجد من بين احبائه من هو مريض ولا يشفه حتى يشعر الرسول بضعفه ، فإن راوده فكر كبرياء من جهة المعجزات التى تتم على يديه يرى احباءه مرضى وهو فى عجز عن تقديم شيء ما لهم . هذا ومن ناحية أخرى لكى لا يتحول هدف المؤمنين فى الكرازة إلى الأمور المادية . بقاء المرض حتى بين الخدام الأمناء يعنى أن غاية الكرازة أولا خلاص الانسان أبدياً وتمتعه بالملكوت أما الأمور الأخرى فتعطى للانسان أو يحرم منها حسبما يرى الله فيه من خير .

ما نقوله هنا نردده بخصوص ابفرودتس العامل مع الرسول والمتجند معه (فى ٢٥:٢) إذ كان مريضاً قريباً من الموت ... بل ونقوله بخصوص الرسول نفسه الذى صرخ الى الرب ليشفيه لكن الرب أعلن له : « تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » .

ش ـــ **يكرر الرسول الدعوة** : « **بادر أن تجيء قبل الشتاء** » (ع ٢١) . فى لطف لم يقل « قبل أن أرحل » بل قال « قبل الشتاء » حتى لا يثير فيه مشاعر الحزن متى جاء ووجده قد رحل .

ص ـــ **تقديم سلام أحبائه الذين فى روما** : « **يسلم عليك أفبولس وبوديس ولينس وكلافديه والاخوة جميعاً** » (ع ٢١) ، من بينهم لينس الذى أقيم اسقفا على روما وكلافدية المملوءة غيرة على الشهادة لله .

٤ ـــ البركة الرسولية :

« **الرب يسوع المسيح مع روحك . النعمة معكم . آمين** » . حقاً إنها بركة ختامية تليق بما جاء فى الرسالة ، فانه إذ يتحدث عن روح القوة ، يؤكد ان سرّها هو المعية مع الرب يسوع . وإن كان الرسول يود ان يسند تلميذه ويعزيه ، فليس من معزى سوى نعمة ربنا يسوع المسيح التى ترافق الانسان وتعينه !

* * *



الاصحاح الأول :

1. In 2 Time hom 2.
2. Ep. 2:10 (ترجمة مدام عايدة حنا بسطا) .
3. In 2 Tim. hom 1.
4. Ep 2:10.

٥ — للمؤلف : الحب الأخوى ، ١٩٦٤ ، ص ٢٨٧ .

6. In 2 Time. hom, 1.

٧ — المؤلف : رسالة بولس الرسول الأولى الى تيموثاوس ، ١٩٨٢ ، ص ١١

8. In 2 Time. hom, 2
9. I lid.
10. I bid.
11. I bid
12. I bid.

١٣ — لدراسة سكنى الروح القدس فينا ، وهل هو يهجرنا أم لا راجع مقال : « لا تظنوا الروح » للقديس مار فيلوكسينوس .

14. In 2 Time, hom,3.
15 Ibid.

١٦ — إسم يونانى يعنى « يجد راحة » .

١٧ — القس مرقس داود : تفسير رسالتى بولس الرسول الأولى والثانية الى تيموثاوس (لمتى هنرى) ، ١٩٧٥ ، ص ١٣٠ .

١٨ — المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

19. Rev-Robertson: The Expostior's Bible, P. 324-9.

الاصحاح الثانى :

20. On Ps. hom 41.
21 Duties of Clergy 1:36.
22. In 2 Tim, hom, 4
23. I bid.
24. I bid 5.
25. I bid.
26. I bid.
27. In Ioan. tr 19:14.
28. I bid 22:12.

٢٩ ــ للمؤلف : الروح القدس بين الميلاد الجديد والتجديد المستمر ، ١٩٨١ ، ص ٦٢ــ٦٨.

30. De Trinitate 2:12

31. PG 36: 364

32. PG 33: 428 A.

٣٣ ــ تفسير يوحنا ، مقال ١٦

34. In 2 Tim, hom, 6.

35. I bid.

36. Ep. 51:52

37. Ep. 50:3

38. On Ps. 89.

39. On Ps. 50.

40. In 2 Tim, hom 6.

41. De Principus 3:1

42. In 2 Time. hom, 6

43. Duties of Clergy 1: 20 (68, 87) ترجمة القس موسى وهبة

٤٤ ــ الحب الدعوى ، ص ٦٦٧

45. In 2 Tim, hom 6.

46. I bid.

٤٧ ــ راجع اقوال الآباء فى هذا الشأن (الحب الرعوى ص ٦٨١)

الاصحاح الثالث :

48. In 2 Tim, hom 7.

49. I bid

50. I bid.

51. On Ps. 37

52. In 2 Tim. hom, 7.

53. Treat. on the Untiy of the Church, 16.

45. Ir 2 Tim. hom, 7

55. I bid 8.

56. On Prayer 19:3

57. In 2 Tim. hom, 8.

58. Ibid.

59. Ibid.

60. Ibid.

61, On Ps. 66.

62. In 2 Tim. hom, 9.

63. Ep 73:9.

64. Exhortation to the Heathen.

65. In matt. hom. 2:9.

66. De Stud. paes PG 63:485.

الاصحاح الرابع :

67. In 2 Tim . hom 9 .

68. Ibid .

٦٩ ــ الحب الرعوى ، ص ٦٠٧

٧٠ ــ المرجع السابق .

٧٢ ــ الحب الرعوى، ص٦٧٤ــ٦٧٦

71. In 2 Time. home 9.

74. I bid.

73. I bid.

76. Duties of Clergy 1:15.

75. Ep. 8.

٧٧ ــ النعمة والإرادة الحرة (ترجمة القمص تادرس يعقوب) ، ١٩٦٩ ، ١٦،١٧ .

79. Ibid.

78. In 2 Tim. hom. 10.

81. Ibid.

80. Ibid.

محتويات الكتاب

صفحـة

صدر عن هذه السلسلة

العهد الجديد:

١- متى
٢- مرقس
٣- لوقا
٤- رومية
٥- أفسس
٦-تسالونيكى الأولى
٧- تسالونيكى الثانية
٨- تيموثاوس الأولى
٩- تيموثاوس الثانية
١٠- تيطس
١١- فليمون
١٢- العبرانيين
١٣- يعقوب
١٤- بطرس الأولى
١٥- بطرس الثانية
١٦- رسائل يوحنا الرسول
١٧- رسال يهوذا
١٨- رؤيا يوحنا اللاهوتى

أسفار العهد القديم :

١- التكوين
٢- الخروج
٣- اللاويين
٤- العدد
٥- يشوع
٦- القضاة
٧- راعوث
٨- صموئيل الأول
٩- صموئيل الثانى
١٠- أستير
١١- المزامير
١٢- أشعياء
١٣- حزقيال
١٤- نشيد الأناشيد
١٥- هوشع
١٦- يوئيل
١٧- عاموس
١٨- عوبديا
١٩- يونان النبى
٢٠- ناحوم
٢١- حبقوق
٢٢- حجى
٢٣- زكريا
٢٤- ملاخى
٢٥- الجامعة

يطلب من :

كنيسة مارجرجس أسبورتنج - الإبراهيمية - الإسكندرية.

كنيسة مارمرقس والأنبا بطرس - سيدى بشر - الإسكندرية.

مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس - العباسية - القاهرة.

الثمن ١٠٠ قرش